أضواء على تفسير المعوذتين

دكتور

سالم عبد الخالق عبد الحميد السكري

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

كلية أصول الدين بالقاهرة

"" بسم الله الرحمن الرحيم ""

الحمد لله رب العالمين، حمدًا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على البشير النذير، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فهذه أضواء على تفسير المعوذتين، وهمـــا "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" أو سورتا: ((الفلق، الناس))، وإنمـــا اخترت الكتابة فـــي هاتين السورتين الكريمتيـــن نظرًا لفضلهما، وأهميتهما في حياة كل مسلم لما اشتملتا عليه من الإستعاذة بالله عز وجل من شر كل ذي شر، وأيضًا- لتعرضهما- وخاصة سورة الفلق- لمسألة كثر الخلاف فيها قديمًا وحديثًا، ألا وهي مسألة سحر النبي- ﷺ، فأردت من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على آيات السورتين الكريمتين، وبيان وجه الحق والصواب في مسألة سحر النبي- ﷺ، بل وفي غيرها من المسائل.

وقد اقتضت طبيعة البحث في تفسير هاتين السورتين أن أقسمه إلى:

مقدمـــه، وتمهيـــد، ومبحثين، وخاتمـــة.

أما المقدمة: فقد ذكرت فيها أهمية الموضوع، وسبب اختياره، وخطة البحث.

وأما التمهيد: فقد تحدثت فيه بين يدي تفسير السورتين عن عدة مطالب علي النحو التالي:

المطلـــب الأول : في أسماء السورتين.

المطلب الثانـــي : في فضلهمـــا.

المطلب الثالـث : في زمن نزولهما.

المطلب الرابـع : في عدد آياتهما.

المطلب الخامس : في قرآنيتهما.

المطلب السابـع : في أهم مقاصد السورتين إجمالًا.

وأما المبحــث الأول: فقد جعلته في تفسير سورة (الفلـق)

وأما المبحث الثانــي: فقد جعلته في تفسير سورة (الناس)

وقد اتبعت في هذين المبحثين منهجًا تحليليًا يقوم على: بيان معاني المفردات، ثم التفسير والبيان لتراكيب وجمل الآيات الكريمة، ثم فقه السورة أو الآيات وما يستفاد منها من الحكم والأحكام.

والله- سبحانه وتعالى- أسأل أن ينفع به، وأن يجعله خالصًا لوجهه، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلي آله وصحبه أجمعين.

دكتور

سالم عبد الخالق السكـري

تمهيـد

بين يدى تفسير السورتين الكريمتين، ويشتمل على عدة مطالب:

المطلب الأول : في أسماء السورتين:

ذكر العلماء لسورة الفلق مع سورة الناس أكثر من اسم، منها:

١- المعوذتان: بكسر الواو- علي صيغة اسم الفاعل، وسميتا بذلك لأن مبدأ الأولى: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، ومبدأ الثانية "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"، ولأنهما عوذتا صاحبهما، أي: عصمتاه من كل سوء.

وقد وردت تسمية السورتين بذلك في كلام الرسول ﷺ وأصحابه، فعن ابن عابس الجهني أن رسول الله ﷺ قال له: يا ابن عابس ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قال: بلى يا رسول الله، قال: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"، "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ" وهما المعوذتان(١)، وعن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذات، وفي رواية: بالمعوذتين في دبر كل صلاة(٢).

وقد عنون للسورتين بهذه التسمية كل من الترمذي في سننه(٣)، وابن

---

(١) أخرجه النسائي ج ٨ ص ٢٥٢ كتاب الاستعاذه، حديث رقم (٥٤٣٢)، والبيهقي في الشعب ج ٢ ص٥١٧، باب في تعظيم القرآن، حديث رقم (٢٥٧٤)، وذكره البغوي في تفسيره ج ٨ ص ٥١٩،وذكره الألباني في سلسلة الاحاديث الصحيحةج٣ ص ٩٤ رقم (١١٠٤).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه ج ١ ص ٣٨٢ كتاب الصلاة، باب في الاستغفار حديث رقـم (١٥٢٣)، الترمذي في سننه ج ٥ ص ١٧١ كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء في المعوذتين، حديث رقم (٢٩٠٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) سنن الترمذي ج ٥ ص ١٧٠.

كثير في تفسيره([1]).

وذكرها بعض المفسرين كالماوردي([2]) وابن الجوزي، والقرطبي([3]) والألوسي([4])، وعدها السخاوي والسيوطي([5]) اسمًا لسورة الفلق بالاشتراك مع سورة الناس.

كما ذكرها ابن عطية في تفسيره([6]) لكن بالإفراد، فسمي سورة الفلق (المعوذة الأولى) وسورة الناس (المعوذة الثانية) من إضافة المسمى إلى الاسم.

وتسميان بالمشقشقتين- بتقديم الشينين علي القافين- من قولهم: خطيب مشقشق أي: مسترسل القول تشبيهًا له بالفحل الكريم من الإبل يهدر بشقشقة، وهي كاللحم يبرز من فيه إذا غضب([7]).

وقد سماها بهذا الاسم السخاوي والسيوطي، ولم يذكرا مستندهما في ذلك، كما لم يعللا تسمية السورتين بهذا الاسم، وقال ابن عاشور: ولم أحقق وجه وصف المعوذتين بذلك، ولعل وجه تسميتهما بذلك يرجع إلى ما حوتا من المعاني البليغة الكثيرة الحافظة للإنسان من شرور الدنيا

([1]) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٦٧١.
([2]) تفسير الماوردي ج ٦ ص ٣٧٣.
([3]) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٤١.
([4]) روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٨.
([5]) الاتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٧٣.
([6]) المحرر الوجيز ج ١٥ ص ٦٠٧، معالم سور القرآن وإتحاف درره ج ٢ ص ٩٢٣.
([7]) الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ٧٣، التحرير والتنوير ج ص ٦٢٢٣، ٦٢٤، معالم سور القرآن ج ٢ ص ٩٢٣ .

والآخرة.

٢- وتسميان أيضًا بالمقشقشتين- بتقديم القافين علي الشينين- من قشقشه إذا أبرأه من المرض، وقد سماهما بذلك بعض المفسرين كالماوردي[١]، والزمخشري[٢]، والقرطبي[٣]، والألوسي[٤]، ولم أقف على حديث سميتا فيه بهذا الاسم.

وعلل القرطبي تسميتهما بذلك لأنهما تبرئان من النفاق، فيكون هذا الاسم مشتركًا بين أربع سور، وهي: (سورة براءة، وسورة الكافرون، وسورة الفلق، وسورة الناس)[٥]

المطلب الثاني : في فضلهمـــا :

ورد في هاتين السورتين الكريمتين من الأحاديث ما ينبئ بفضلهما، وينوه بعظيم شأنهما، ومن ذلك:

ما رواه مسلم في صحيحه من حديث قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- ﷺ- : ألم تر آيات أنزلت الليلة لم ير مثلهن قط: " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ "، " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) تفسير الماوردي ج ٦ ص ٣٧٣.

(٢) الكشاف ج ٤ ص ٦٥٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٤١.

(٤) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٩.

(٥) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٤١، التحرير والتنوير ج ٣ ص ٦٢٤، معالم ســـور القرآن وإتحافات درره ج ٢ ص ٩٢٤.

النَّاسِ"[1].

وفي لفظ آخر من رواية محمد بن إبراهيم التيمي عن عقبة أن رسول الله ﷺ قال له: ألا أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون؟ قلت: بلي، قال: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ)، (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ)[2] وروى الترمذي والنسائي عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله- ﷺ- يتعوذ من الجان وعين الإنسان حتي نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذهما وترك ما سواهما[3].

وفي الصحيحين عن عائشة- رضي الله عنها- أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليله جمع كفيه ثم نفث فيهما فقرأ فيهما "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" والمعوذتين جميعًا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به[4].. إلي آخر تلك الأحاديث التي جاءت في فضل هاتين السورتين، وقد ذكر الإمام ابن كثير

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه ج١ ص ٥٥٨ كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة المعوذتين، حديث رقم (٨١٤).

(2) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ١٧٨ من طريق محمد بن إبراهيم التيمي عن ابن عابس الجهني، وهو عقبة بن عامر، والطبراني في المعجم الكبير ج ١٧ ص ٣٤٢، وصححه الألباني في السلسة الصحيحة ج ٣ ص ٩٤ رقم (١١٠٤).

(3) أخرجه الترمذي في سننه ج ٤ ص ٣٩٥ كتاب الطب، باب ما جاء في الرقية بالمعوذتين، حديث رقم (٢٠٥٨) وقال هذا حديث حسن غريب، والنسائي ج ٨ ص ٢٧١ كتاب الاستعاذة حديث رقم (٥٤٩٤) .

(4) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٦ ص ٤٢٤ كتاب فضائل القرآن، باب فضل المعوذتين، حديث رقم (٥٠١٧).

جملة منها عن عقبة وغيره ثم قال: فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث.

وقد تقدم في رواية صدى بن عجلان، وفروة بن مجاهد عنه: ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا في الفرقان مثلهن: "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ "، " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ "، " قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ "(١). اهـ .

المطلب الثالث : في زمن نزولهما :

اختلف العلماء في زمن نزول المعوذتين، فذهب بعضهم إلى أنهما مكيتان، وهو قول الحسن وعطاء وعكرمة، ورواية كريب عن ابن عباس، وهو رأي الأكثرين.

وذهب آخرون إلى أنهما مدنيتان، وهو قول قتادة وجماعة، ورواية أبي صالح عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال ابن عاشور: والأصح أنهما مكيتان لأن رواية كريب عن ابن عباس مقبولة، بخلاف رواية أبي صالح عن ابن عباس ففيها متكلم(٢).

وما ذكره الألوسي(٣) وغيره من أن الصحيح أن سورة الفلق مدنية،

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٢.

(٢) التحرير والتنوير ج ٣ ص ٦٢٤، الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٤١ التفسير المنير ج ٣ ص ٤٦٩، الكشاف ج ٤ ص ٦٥٠، النكت والعيون للماوردي دج ٦ ص ٣٧٣.

(٣) روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٨، البحر المديد لابن عجيبة ج ٨ ص ٣٧٤، وبصائر ذوي التمييز ج ١ ص ٥٥٦، الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١٩.

لأن سبب نزولها سحر اليهود للنبي ﷺ، وهم إنما سحروه بالمدينة، وسورة الناس نزلت معها- كما في الدلائل للبيهقي، نرد عليه بأن ما ورد في الصحيحين في سحر النبي ﷺ ليس فيه ما يدل على نزول المعوذتين على الرسول ﷺ عندما سحر، أما الروايات الأخرى التي ذكرها الثعلبي وغيره، والتي فيها: فأنزل الله تعالى السورتين، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد رسول الله ﷺ خفة حين انحلت العقدة الأخيرة، فقد قال عنها الإمام ابن كثير: هكذا أورده بلا إسناد، وفيه غرابة، وفي بعضه نكارة شديدة، ولبعضه شواهد مما تقدم([1]).

المطلب الرابع : في عدد آياتهما :

اتفق العلماء على أن آيات سورة (الفلق): خمس آيات، وكلماتها ثلاث وعشرون، وحروفها أربعة وسبعون قال الألوسي: وآيها خمس بلا خلاف([2])، وقال ابن الجوزي: هي خمس آيات في عد الجميع بلا خلاف بينهم في شيء منها([3]).

أما سورة الناس فقد اختلف فيها أهل العد، فقال بعضهم : إنها ست آيات، وقال آخرون: إنها سبع.

قال ابن الجوزي: هي ست آيات في عد الكوفي والمدنيين والبصري وعطاء

([1]) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٤.

([2]) روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٨ .

([3]) فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي ص ١٦٣، بصائر ذوي التمييز للفيروز آبادي ج ١ ص ٥٥٦، معالم سور القرآن وإتحافات درره للدكتور جمعه علي عبد القادر ج ٢ ص ٩٢٠.

وسبع آيات في عد الشامي والمكي، اختلافها آية واحدة: عد الشامي والمكي (الوسواس) آية[1] والراجح أنها ست لا سبع، وإن اختاره البعض- كما قال الألوسي[2]

وعلى هذا يكون عدد آيات السورتين إحدى عشرة آية، ويؤيده ما جاء عن ابن عباس وغيره في أحاديث سحر النبي ﷺ أن فيه إحدى عشرة عقدة، فكان كلما حل عقدة وجد راحة حتي حلت العقد كلها، فكأنما أنشط من عقال، فنزلت عليه المعوذتان، وهما إحدى عشرة آية بعدد العقد وأمر أن يتعوذ بهما[3].

المطلب الخامس: في قرآ نيتهما:

المعوذتان من القرآن بإجماع المسلمين، وأما ما نُقل عن ابن مسعود- رضى الله عنه- أنه كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، وفي رواية: كان يحك المعوذتين من مصحفه، ويقول: " إنهما ليستا من كتاب الله "، فيجاب عنه: بأن هذه الروايات غير صحيحة، وأغلب الظن أنها مدسوسة على ابن مسعود- رضي الله عنه- وقد ذهب إلى إنكار تلك الروايات كثير من العلماء المحققين، ومنهم النووي، وابن حزم، وغيرهما.

قال النووي- في شرح المهذب: أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن، وأن من جحد منها شيئًا كفر، وما نُقل عن ابن

---

(1) فنون الأفنان ص ١٦٣، بصائر ذوي التمييز ج ١ ص ٥٥٧.

(2) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٩.

(3) النكت والعيون للماوردي ج ٦ ص ٣٧٦، تفسير ابن عجيبة المسمى البحر المديد فـــي تفسير القرآن المجيد ج ٨ ص ٣٧٤.

مسعود باطل ليس بصحيح([1])

وقال ابن حزم في المحلي: هذا كذب على ابن مسعود وموضوع، وإنما صح عنه قراءة عاصم عن زر عنه، وفيها المعوذتان والفاتحة([2])، وكذا قال الفخر الرازي في أوائل تفسيره: نقل في بعض الكتب القديمة أن ابن مسعود كان ينكر كون سورة الفاتحة والمعوذتين من القرآن، والأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل([3]).

فما نُقل عن ابن مسعود- كما قال هؤلاء الأئمة- لا يصح، وهو مخالف لإجماع الأمة على أن المعوذتين من القرآن.

وعلى فرض صحة الرواية عن ابن مسعود- رضي الله عنه- في ذلك، يمكن أن يؤول بأن يحمل على إنكار الكتابة في المصحف لا إنكار قرأنيتهما، لأنه كان يرى ألا يكتب في المصحف إلا ما أمر النبي ﷺ بكتابته فيه، وقد تأوله بهذا، القاضي أبو بكر الباقلاني وغيره.

قال ابن حجر- في الفتح: وقـــد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني في كتابه (الانتصار) و تبعه عياض وغيره ما حُكي عن ابن مسعود فقال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنما أنكر إثباتهما في المصحب، فإنه كان يرى أن لا يكتب في المصف شيئًا إلا إذا كان النبي ﷺ أذن في كتابته، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك، قال: فهذا تأويل منه وليس جحدًا

([1]) المجموع شرح المهذب ج ٣ ص ٣٩٦.

([2]) المحلى لابن حزم ج ١ ص ١٣، فتح الباري ج ٨ ص ٦١٥.

([3]) التفسير الكبير ج ١ ص ١٧٨، ذكر ذلك في المسائل الفقهية المستنبطة من سورة الفاتحة.

لكونهما قرآنًا، وهو تأويل حسن، إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك(١)، حيث جاء فيها: ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله نعم يمكن حمل لفظ (كتاب الله) على المصحف فيتمشى التأويل المذكور(٢) ا.هـ .

هذا ويحتمل أن ما نُقل عن ابن مسعود- علي فرض صحته أيضًا- كان قبل علمه بقرآنية المعوذتين، وقبل سماعه لهما من النبي ﷺ، فلما علم ذلك وتيقنه رجع إلى رأي الجماعة، وكان في مقدمة من آمن بأنهما من القرآن، وليس أدل علي ذلك من أن الذين تعزى قراءاتهم إلى ابن مسعود متفقون على أن المعوذتين من القرآن(٣).

وهذا الذى تستريح إليه النفس، وخاصة أنه قد ذكر كثير من العلماء رجوع ابن مسعود عن رأيه إلى رأي الجماعة، منهم ابن الصباغ، والزركشي، وابن كثير وغيرهم.

قال ابن الصباغ بأنه لم يستقر عنده- أي ابن مسعود. القطع بذلك ثم حصل الاتفاق بعد ذلك.

وقال الزركشي- في البرهان: إن عدد سور القرآن: باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة، قال: وكان في مصحف ابن مسعود اثنا عشرة لم يكن فيها المعوذتان لشبهة الرقية، وجوابه: رجوعه إليهم وما

---

(١) يشير ابن حجر إلى ما أورده عن ابن مسعود أنه كان يحك المعوذتين من مصحفه.

(٢) فتح الباري ج ٨ ص ٦١٥.

(٣) المدخل لدراسة القرآن الكريم ص ٢٥٩، مناهل العرفان ج ١ ص ٢٧٦.

كتب الكل(١).

وقال ابن كثير: هذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه، فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده، ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة، فإن الصحابة- رضي الله عنهم- كتبوهما في المصاحف الأئمة، ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك، ولله الحمد والمنة(٢).

وكذا قال الألوسي- بعد أن ذكر إختلاف الروايات عن ابن مسعود في ذلك: وبهذا الاختلاف قدح بعض الملحدين في إعجاز القرآن، قال: لو كانت بلاغة ذلك بلغت حد الإعجاز لتميز به عن غير القرآن، فلم يختلف في كونه منه وأنت تعلم أنه قد وقع الإجماع على قرآنيتهما، وقالوا: إن إنكار ذلك اليوم كفر، ولعل ابن مسعود رجع عن ذلك(٣) ا.هـ .

والحاصـــل: أن ما نُقل عن ابن مسعود من إنكار المعوذتين إما مكذوب أو مؤول بحمله على أولى حالات ابن مسعود وقد رجع عن ذلك، فتم التواتر وانعقد الاجماع علي قرآنيتهما.

المطلب السادس: في مناسبتهما لما قبلها:

ترتبط هاتان السورتان (الفلق، الناس) بما قبلهما وهي سورة الإخلاص ارتباطًا وثيقًا، وذلك أنه- سبحانه- لما ذكر- في سورة الإخلاص- أنه

---

(١) فتح الباري ج ٨ ص ٦١٦، الإتقان في علوم القرآن ج ١ ص ١١٣، البرهان في علوم القرآن ص ١٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٧١.

(٣) روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٩.

الواحد الأحد، الفرد الصمد، والصمد من معانيه الذي تصمد الخلائق إليه في حاجاتهم، جاء في هاتين السورتين توجيه العباد إلى من يستعيـــــــذون ويلوذون به، وهو الله الصمد- سبحانه- فهو وحده الذي يعيذهم ويحفظهم وهو الذي يلجئون إليه سبحانه وتعالى(١).

قال الألوسي- رحمه الله- في ارتباط سورة الفلق والتي بعدها بما قبلها:

لما شرح- تعالي- أمر الإلهية في السورة قبلها " قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ " جيء بها بعدها شرحًا لما يستعاذ منه بالله تعالي من الشر الذي في مراتب العالم ومراتب مخلوقاته، وهي والسورة التي بعدها نزلتا معًا كما في الدلائل للبيهقي(٢). أهـ .

وذكر الفخر الرازي- رحمه الله- في ارتباط سورة الفلق بسورة الإخلاص وجوهًا منها: أن الكفار لما سألوا الرسول ﷺ عن نسب الله وصفته، فكأن الرسول ﷺ قال: كيف أنجو من هؤلاء الجهال الذين تجاسروا وقالوا فيك ما لا يليق بك؟ فقال الله تعالي:

" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ " أي: استعذ بي حتى أصونك عن شرهم(٣).

وقال الإمام أحمد بن الزبير في وجه ارتباط المعوذتين بالإخلاص: لما كمل مقصود الكتاب، واتضح عظيم رحمة الله به لمن تدبر آياته وأناب كان مظنة الاستعاذة واللجاء من شر حاسد وكيد الأعداء، فختم بالمعوذتين

---

(١) أضواء البيان ج ٩ ص ٦٢٨.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٨، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص٢٠٥٣، التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي ج ٣٠ ص ٤٦٩.

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازي ج ٣٢ ص ١٧٣.

من شر ما خلق وذرأ وشر الثقلين.

وقال- في وجه تأخر سورة الناس عن الفلق- ما نصه: وجه تأخرها عن شقيقتها عموم الأولى وخصوص الثانية، ألا ترى عموم قوله تعالي: " مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ " وإبهام (ما) وتنكير (غاسق) و (حاسد)، والعهد فيما استعيذ من شره في سورة الناس، وتعريفه ونعته، فبدأ بالعموم، ثم أتبع بالخصوص ليكون أبلغ في تحصيل ما قصدت الاستعاذة منه وأوفى بالمقصود([1]) ا.هـ

المطلب السابع : في أهم مقاصد السورتين إجمالًا:

المقصود الأعظم في هاتين السورتين هو تعليم النبي ﷺ وأمته من بعده كيفية الاستعاذة بالله عز وجل من كل ما ينبغي أن يحذر منه في أمر الدين والدنيا.

قال ابن عاشور- رحمه الله- في الغرض من سورة الفلق: والغرض منها تعليم النبي ﷺ كلمات للتعوذ بالله من شر ما يُتقى شره من المخلوقات الشريرة، والأوقات التي يكثر فيها حدوث الشر، و الأحوال التي يستر أفعال الشر من ورائها لئلا يُرمى فاعلوها بتبعاتها، فعلم الله نبيه هذه المعوذة ليتعوذ بها، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يتعوذ بهذه السورة وأختها، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما فكان التعوذ بهما من سنة المسلمين.

وأما الغرض من سورة الناس فهو: إرشاد النبي- ﷺ لأن يتعوذ بالله ربه من شر الوسواس الذي يحاول إفساد عمل النبي ﷺ وإفساد إرشاده

([1]) البرهان في تناسب سور القرآن للإمام أحمد بن الزبير الثقفي ص ١٤٧.

الناس، ويلقى في نفوس الناس الإعراض عن دعوته.

وفي هذا الأمر إيماء إلى أن الله تعالي معيذه من ذلك، فعاصمه في نفسه من تسلط وسوسة الوسواس عليه، ومتمم دعوته حتي تعم في الناس، ويتبع ذلك تعليم المسلمين التعوذ بذلك، فيكن لهم من هذا التعوذ ما هو حظهم من قابلية التعرض إلى الوسواس، ومن السلامة منه بمقدار مراتبهم في الزلفى(١) ا.هـ

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور ج ٣ ص ٦٢٥، ص ٦٣٢.

المبحث الأول

تفسير سورة (الفـلق)

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)

أولًا: معاني المفردات:

(أَعُوذُ) أي: ألتجئ وأعتصم وأتحرز، لأن لفظ (عاذ) وما تصرف منه يدل على التحرز والتحصن، يقال: عاذ يعوذ عوذًا: لاذ ولجأ، والعوذة: ما يعاذ به من الشيء(١)، وفي أصله قولان: أحدهما: أنه مأخوذ من الستر، والثاني: أنه مأخوذ من لزوم المجاورة، فأما من قال: إنه من الستر فقال: العرب تقول للبيت الذي في أصل الشجرة التي قد استتر بهـــا (عُوّذ) فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر بأصلها وظلها سموه (عوذًا) فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه.

ومن قال: هو لزوم المجاورة قال: العرب تقول للحم إذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه (عوذ) لأنه اعتصم به، واستمسك به، فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه.

والقولان حق، والاستعاذة تنتظمهما معًا، فإن المستعيذ مستتر بمعاذه،

---

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٩، تفسير ابن عجيبة ج ٨ ص ٣٧٥، المصباح المنير للفيومي ج ٢ ص ٥٩٧، القاموس القويم ج ٢ ص ٤٢، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٣٥٢.

مستمسك به قد لزمه لزوم المجاورة[1].

(**الْفَلَقِ**) فعل بمعني (مفعول) كقصص بمعني (مقصوص)، وأصله من فلقت الشيء أي: شققته، فكل ما انفلق من شيء من حيوان وحب ونبات فهو (فلق)، ومنه قوله تعالي: "إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى"[2]، وقوله: "فَالِقُ الْإِصْبَاحِ"[3] أي: مخرجه من الليل كأنه شقه، وخص عرفًا بالصبح لأن الليل يُفلق عنه، يقال: هو أبين من فلق الصبح، وفرق الصبح، قال ذو الرمة: حتي إذا ما انجلى عن وجهه فلق.... أي: انجلى الصبح عن وجهه[4]

(**غَاسِقٍ**) الغاسق: الليل إذا اشتد ظلامه، والغسق: ظلمة الليل، يقال: غسق الليل وأغسق إذا أظلم، ومنه قوله تعالي: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ"[5]، وقول الشاعـر:

إن هذا الليل قد غسقـا واشتكيت الهم والأرقـا

وقيل: الغاسق: القمر إذا كسف فاسود، وأصل الغسق: الامتلاء، يقال: غسقت العين إذا امتلأت دمعًا، وقيل: هو السيلان وغسق الليل انضباب

---

(1) التفسير القيم لابن القيم ص ٤٣٣.

(2) الآية (٩٥) سورة الأنعام.

(3) الآية (٩٦) سورة الأنعام.

(4) الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٦٥٠، روح المعاني ج ١٦ ص ٤٩٩، الجامع لأحكام القـــرآن ج ١٠ ص ٧٣٤٥، المفردات في غريب القرآن ص ٣٨٥، القاموس القويم ج ٢ ص ٨٨.

(5) الآية (٧٨) سورة الإسراء.

ظلامه(١)

(إِذَا وَقَبَ) أي: إذا دخل ظلامه في كل شيء، يقال: وقب الليل يقب وقبًا: دخل على الناس بظلامه، ووقبت الشمس إذا غابت، وأصل الوقب: النقرة والحفرة ثم استعمل في الدخول، وهو دخول الليل بغروب الشمس(٢)

(النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ) هن السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها، والنفاثات جمع (نفاثة)، والنفث: هو النفخ مع ريق، قاله الزمخشري، وقيل: هو شبه النفخ في الرقية ولا ريق معه، فإن كان بريق فهو التفل، قال الألوسي: والأول أصح لما نقله ابن القيم من أنهم إذا سحروا استعانوا علي تأثير فعلهم بنفس يمازجه بعض أجزاء أنفسهم الخبيثة(٣) ا.هـ

(حَاسِدٍ) الحاسد: هو الذي يتمني زوال النعمة عن غيره، يقال: حسده يحسده حسدًا: إذا تمني أن يتحول إليه نعمته، أو يسلبها هو، وحسدته النعمة، وحسدته عليها حسدًا: إذا كرهتها عنده وتمنيت زوالها عنه، والغبط: أن يتمني أن يكون له مثلها،ولا يتمني زوالها عنه، قال الأزهري:

---

(١) الكشاف للزمخشري ج ٤ ص ٦٥١٤، روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٢، الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٤٦، معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٣٠١.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٢، التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٧٨، معاني القرآن للأخفش ج٢ ص ٥٤٩، القاموس القويم ج٢ ص ٣٤٨.

(٣) روح المعاني ج١٦ص ٥٠٤، الكشاف للزمخشري ج٤ ص٦٥١، التفسير القيم ص ٤٥٢، التفسير الكبير للرازي ج ٣٢ص ١٧٨، معاني القرآن للفراء ج ٣ ص ٣٠١.

الغبط: ضرب من الحسد، وهو أخف منه[1]، ومن ذلك يتبين لنا أن للحسد معنيين:

أحدهما: تمني زوال نعمة الغير، وتحويلها إليه،أو العمل علي أن يسلبها منه.

الثاني: تمنى أن يكون له مثل نعمة الغير، ولا يتمني زوالها من المحسود، وهذا مما لا بأس به، ولهذا سمي (غبطة) وفي الأثر: المؤمن يغبط، والمنافق يحسد[2]

(إِذَا حَسَدَ) أي: إذا ظهر حسده، وعمل بمقتضاه، والتقييد بذلك لأن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحاسد[3]، كما قال علي- رضي الله عنه- : لله در الحسد ما أعد له بدأ بصاحبه فقتله، وقال ابن المعتز:

اصبر علي حسد الحســـو د فإن صبرك قاتله

فالنار تأكل بعضهـــــــا إن لم تجد ما تأكله

ثانيا: التفسير والبيــان:

"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ" أي: قل يا محمد أنت ومن اتبعك من المؤمنين

---

(1) لسان العرب لابن منظور مادة(حسد)، المصباح المنير للفيومي ج١ ص١٨٥، مختار الصحاح للرازي ص ١٠٢، المفردات في غريب القرآن ص١١٨، القاموس القويم ج١ ص ١٥٣.

(2) ذكره العجلوني في كشف الخفاء ج٢ ص٣٨٩ حديث رقم (٢٦٩) ونسبه إلى الفضيل بن عياض، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٧٣٤٩ ورفعه إلى النبي- ﷺ.

(3) تفسير النسفي ج ٤ ص ٣٨٦، روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٧، والبحر المديد لابن عجيبه ح ٨ ص ٣٧٦.

إذا أردت اللجوء إلى الله عز وجل، ليحميك من الشرور والآفات، فالخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ إلا أنه عام له ولأمته، حيث لا دليل على تخصيصه به، وكل إنسان في هذه الحياة يرغب ويرهب، ويحب أشياء ويخاف أشياء، وهو عرضة للشرور والأكدار، فالله تعالي من فضله وهدايته، يعلمنا هنا كيف نضرع إليه ونلجأ متحصنين مما نخاف، ليدفعه عنا ويقينا شره، فهو وحده الملجأ والملاذ، والمنجى من كل سوء، ومعني (أعوذ) ألتجئ وأعتصم وأتحصن بالله ليعيذني ويحميني، ومنه الاستعاذة المشهورة، وهي قولنا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وقد قال تعالي لرسوله- ﷺ: **"وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ"**(١)، وفي آية أخرى: **" فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ"**(٢)

سؤال وجوابـه

فإن قيل: لم دخلت (السين، التاء) في الأمر من هذا الفعل (فاستعذ) ولم تدخل في الماضي و المضارع، بل الأكثر أن يقال: أعوذ بالله، تعوذت بالله دون أستعيذ واستعذت؟ .

جـوابـه: أن السين والتاء دالة على الطلب، فقوله أستعيذ بالله، أي: أطلب العياذ به، كما إذا قلت: أستخير الله، أي: أطلب خيرته، وأستغفره أي: أطلب مغفرته، فدخلت في الفعل إيذانًا لطلب هذا المعني من المعاذ، فإذا قال المأمور: أعوذ بالله فقد امتثل ما طلب منه لأنه طلب منه الالتجاء

---

(١) الآية (٩٧) سورة المؤمنون.
(٢) الآية (٩٨) سورة النحـل.

والاعتصام، وفرق بين نفس الالتجاء والاعتصام وبين طلب ذلك، فلما كان المستعيذ هاربًا ملتجئًا معتصمًا بالله أتى بالفعل الدال على ذلك دون الفعل الدال على طلب ذلك فتأمله(١).

سؤال آخر وجوابه

فإن قيل: كيف جاء امتثال هذا الأمر بلفظ الأمر والمأمور به فقال: " **قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ**" ومعلوم أنه إذا قيل: قل الحمد لله، فإن امتثاله أن يقول: الحمد لله، ولا يقول: قل الحمد لله؟

جوابه: هذا السؤال بعينه أورده الصحابي الجليل أبي بن كعب على النبي ﷺ وأجابه عنه، فقد روي البخاري في صحيحه بسنده عن زر بن حبيش قال: سألت أبي بن كعب عن المعوذتين؟ فقال: سألت رسول الله ﷺ فقال: قيل لي فقلت، فنحن نقول كما قال رسول الله- ﷺ، وروى البخاري أيضًا بسنده عن زر قال: سألت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا، فقال: إني سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لي فقلت قل، فنحن نقول كما قال رسول الله- ﷺ(٢) ومفعول القول- في هذا الحديث- محذوف-، وتقديره: قيل لي قل أو قيل لي هذا اللفظ فقلت كما قيل لي، والسر في ذلك أن النبي ﷺ ليس له في القرآن إلا إبلاغه لا أنه هو أنشأه من قبل نفسه، بل هو المبلغ له عن الله عز وجل.

وقد قال الله له: **"قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"** فكان مقتضي البلاغ التام أن

---

(١) التفسير القيم ص ٤٣٤.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري ج ٨ ص ٦١٤ كتاب التفسير، بـــاب: سـورة (قل أعوذ برب الناس) حديث رقم (٤٩٧٧).

يقول: **" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ "** كما قال الله، وهذا هو المعني الذي أشار النبي ﷺ إليه بقوله: قيل لي فقلت أي: إني لست مبتدئًا بل أنا مبلغ أقول كما يقال لي، وأبلغ كلام ربي كما أنزله إليّ، فصلوات الله وسلامه عليه، لقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وقال كما قيل له، وما على الرسول إلا البلاغ(١).

سؤال ثالث وجوابه

فإن قيل: لم قال في الأمر بالاستعاذة عند القراءة (فاستعذ بالله) بينما قال ههنا: **" أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ"**، ولم يقل: أعوذ بالله، مع أن لفظ الجلالـــة (الله) هو أفضل أسمائه؟

جـوابــه: من وجوه- كما ذكر الفخر الرازي:

أحدهــا: أنه إنما أمره بالاستعاذة عند مفتتح القراءة، لأجل قراءة القرآن، وأمره بالاستعاذه ههنا لأجل حفظ النفس والبدن، والأول أعظــم، لذلك ذكر هناك الاسم الأعظم.

الثانــي: أن اسم الرب يشير إلى التربية، فكأنه جعل تربيته له فيما تقـــدم وسيلة إلى تربيته فيما يأتي.

الثالث: أن هذه السورة- يعني سورة الفلق- آخر سور القرآن، فذكر لفـــظ (الرب) تنبيهًا على أنه سبحانه لا تنقطع تربيته ولا إحسانه(٢) ا.هـ

وقد أُختلف في المراد بالفلق، فقيل: الفلق: الخلق كله، قاله

---

(١) التفسير القيم ص ٤٣٥.

(٢) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٧٤، ١٧٥، روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٠.

الضحاك، وقيل: كل ما انفلق عن غيره فهو فلق، كالصبح والحب والنوي قال ابن جرير: إن الله أطلق ولم يقيد، فنطلق كذلك ما أطلق(١)

وقال أكثر المفسرين: الفلق: الصبح لأن الليل ينشق عنه، وفي المثل: هو أبين من فلق الصبح، وهو قول جابر بن عبد الله، والحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وغيرهم، ورواية العوفي عن ابن عباس- رضي الله عنهما، وعليه فتعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبئ عن النور عقيب الظلمة، والسعة بعد الضيق هو عدة كريمة بإعاذة العائذ مما يتعوذ، وإنجائه منه تقوية لرجائه بذكر بعض نظائره، ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه عز وجل(٢) .

وقيل: سبب تخصيص الصبح بالتعوذ أن انبثاق نور الصبح بعد شدة الظلمة، كالمثل لمجيء الفرج بعد الشدة، فكما أن الانسان يكون منتظرًا لطلوع الصبح، فكذلك الخائف يترقب مجيء النجاح(٣).

الاستعاذة من شر الخلق عمومًا

" **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** " هذا هو الشر الأول المستعاذ منه، وذلك بعد أن بينت الآية السابقة المستعاذ به وهو الله (رب الفلق)، ومعني (**مِنْ شَرِّ مَا**

---

(١) جامع البيان ج ٣٠ ص ٢٢٦، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٩ ص ٦٣٤.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٠، تفسير ابن عجيبة ج ٨ ص ٣٧٥، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٥٥.

(٣) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٧٥، صفوة التفاسير للشيخ محمد علي الصابوني ج ٢٠ ص١٢٣.

خَلَقَ) أي: من شر الذي خلقه من الثقلين وغيرهما كائنًا ما كان، من ذوات الطباع أو الاختيار(١)- المخلوق الذي هو شر في نفسه وبطبعه، والمخلوق الذي بإرادته يلحق الشر بغيره. والشر ضد الخير، وهو كل ما من شأنه أن يؤذي الإنسان ويضره في دينه أو دنياه، في بدنه أو غير بدنه من أهل، وولد، ومال، ووطن، ولذا عرفه الراغب بقوله: الشر هو الذي يرغب عنه الكل، كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل(٢).

والشر المستعاذ منه هنا عام، وعمومه تقييدي وصفي لا عموم إطلاقي، والمعني: من شر كل مخلوق فيه شر، فعمومه من هذا الوجه، وليس المراد الاستعاذة من شر كل ما خلقه الله تعالي، فإن الجنة وما فيها ليس فيها شر، وكذلك الملائكة والأنبياء- عليهم السلام- فإنهم خير محض، والخير كله حصل علي أيديهم، فالاستعاذة من شر ما خلق تعم شر كل مخلوق فيه شر، وكل شر في الدنيا والآخرة، وشر شياطين الإنس والجن، وشر السباع والهوام، وشر النار والهواء، وغير ذلك(٣)

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: من نزل منزلًا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه(٤)، وروى أبو

---

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠١.

(٢) المفردات في غريب القرآن ص ٢٥٧.

(٣) التفسير القيم ص ٤٤٦، ٤٤٧، روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠١، حاشية الجمل على الجلالين ص ١٤٠، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٥٥.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ج ٤ ص ٣٢ كتاب الذكر والدعاء باب الدعوات والتعوذ، أحمد في مسنده ج ٦ ص ٤٠٩، الترمذي في سننه ج ٥ ص ٤٩٦ كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نزل منزلًا حديث رقم (٣٤٣٣) وقال هذا حديث حسن صحيح.

داود في سننه عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: يا أرض ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك، وشر ما خلق فيك، وشر ما يدب عليك، أعوذ بالله من أسد وأسود، ومن الحية والعقرب، ومن ساكن البلد، ومن والد وما ولد(١).

هذا وللمعتزلة في هذه الآية كلام حول خلق أفعال العباد، وأن الله لا يخلق الشر، وقالوا: كيف يخلقه ويقدره، ثم يأمر بالاستعاذة به- سبحانه- مما خلقه وقدره؟

وأجيب: بأنه لا مانع من ذلك، كما في قوله- ﷺ: وأعوذ بك منك(٢)، وقد قال تعالي: **" اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ "**(٣)، ومعلوم أن المخلوق لا يتأتى منه شيء قط إلا بمشيئة الخالق، **" وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ "**(٤).

الاستعاذة من شر الليل وما فيه

"وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ" هذا تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله، وهو: (**مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** (، وذلك لزيادة مساس الحاجة

---

(١) رواه أبو داود ج ٢ ص ٣٦ كتاب الجهاد باب ما يقول الرجل اذا نزل المنزل، أحمد في مسنده ج ٢ ص ١٣٢، الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ١١٠ كتاب الجهاد وصححه ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ج ١ ص ٣٥٢ كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، وأبو داود في سننه ج ١ص ٢٢٤ كتاب الصلاة، ما في الدعاء في الركوع والسجود رقم (٨٧٩).

(٣) الآية (٦٢) سورة الزمر.

(٤) الآية (٣٠) سورة الإنسان،وانظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٩ص ٦٣٥، ٦٣٦.

إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه، ولأن تعيين المستعاذ منه أدل على الاعتناء بالاستعاذة، وأدعى إلى الإعاذة([1]).

والغاسق إذا وقب: هو الليل إذا اشتد ظلامه ودخل في كل شيء، ومنه قوله تعالى: " **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ** "([2])، والتقييد بهذا الوقت لأن حدوث الشر فيه أكثر، والتحرز منه أصعب وأعسر، ومن أمثالهم: (الليل أخفى للويل)، وقولهم: أغدر من ليل، إذ أنه ستار يختفي في ظلامه المجرمون والعابثون بالأمن، وهو عون لأعدائك([3]).

وتفسير الغاسق إذا وقب بما ذكر هو المأثور عن ابن عباس، ومجاهد، والحسن، وغيرهم، وهو قول أكثر المفسرين.

وقيل: معناه: القمر إذا امتلأ نورًا، على أن الغسق: الامتلاء، ووقوبه: دخوله في الكسوف واسوداده، أو دخوله في المحاق في آخر الشهر.

وقد نقل ابن كثير هذا القول، ونقل رد أصحاب القول الأول عليه فقال: وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد عن الحارث بن أبي سلمة قال: " قالت عائشة- رضي الله عنها- : أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع، وقال: تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب، ورواه

([1]) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٣، تفسير ابن عجيبة ج ٨ ص ٣٧٥، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج٣ ص ٢٠٥٥.

([2]) الآية (٧٨) سورة الإسراء.

([3]) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٣، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٠٥.

الترمذي ولفظه: تعوذي بالله من شر هذا، فإن هذا الغاسق إذا وقب، قال أصحاب القول الأول: وهو آية الليل إذا دلج، هذا لا ينافي قولنا لأن القمر آية الليل، ولا يوجد له سلطان إلا فيه، وكذلك النجوم لا تضيئ إلا بالليل، فهو يرجع إلى ما قلناه، والله أعلم([1]) ا.هـ

وذكره أيضًا الشنقيطي في أضواء البيان ثم قال: والصحيح الأول، الذي هو الليل بشهادة القرآن.

والثاني: تابع له، لأن القمر في ظهوره واختفائه مرتبط بالليل، فهو بعض ما يكون في الليل، وفي الليل تنتشر الشياطين وأهل الفساد، من الإنسان والحيوان، ويقل فيه المغيث إلا الله تعالي([2]).

سؤال وجوابــه

فإن قيل: ما معني إضافة الشر إلى الليل هنا، ولم نكر (غاسق)، ولماذا قيدت الاستعاذة من الليل بقوله: (إذا وقب)؟؟.

جوابه: الإضافة لأدني ملابسة، وهي أن الشر يحدث ويحصل فيه، فالليل ظرف لهذا المستعاذ منه، وأما تنكيره فلعدم شمول الشر لكل أفراده،

([1]) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٥٧٣، الأساس في التفسير ج ١١ ٦٣- ٦٧، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ج ٦، ص ٦١، الترمذي في سننه ج ٥ ص ٤٥٢ كتاب التفسير، باب: ومن سورة المعوذتين، رقم (٣٣٦٦) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥٨٩ وصححه ووافقه الذهبي، وابن جرير في تفسيره ج ٣٠ ص ٢٢٧، وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح ج ٨ ص ٧٤١ وحسن إسناده، وذكره الثعلبي في تفسيره ج ٨ ص ٥١٧.

([2]) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٩ ص ٦٣٧، وانظر: تفسير المعوذتين لابن تيمية ص ٥، التفسير القيم ص ٤٤٨.

ولا لجميع أجزائه، فليس كل (غاسق) شريرًا، وأما تقييده بقوله: (إذا وقب) أي: إذا دخل أو اشتد ظلامه، فلأن الليل مجمع الويل، وفيه تخرج السباع من آجامها، والهوام من مكانها، وتنتشر الأرواح المؤذية من الجن والإنس، ويقل فيه الغوث، ولذلك قيل: لو شهر (معتد) سلاحًا علي إنسان ليلًا فقتله المشهور عليه لا يلزمه قصاص، ولو كان نهارًا يلزمه لأنه يوجد فيه الغوث([1])

([1]) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٧٨، محاضرات في تفسير القرآن لأستاذنا الدكتور عبد الغني الراجحي وآخرين ص ٩٦.

الاستعاذة من شر السحر

"وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ " المراد بالشر هنا هو شر السحر، سواء كان النفث من النساء- كما هو ظاهر اللفظ- أو من الرجال على معني الجماعات، أو النفوس الشريرة فتشمل النوعين- الرجال والنساء.

قال النسفي- رحمه الله:- النفاثات: النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللواتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها ويرقين(١).

وقال الألوسي- رحمه الله: **"وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ "** أي: ومن شر النفوس السواحر اللاتي يعقدن عقدًا في خيوط وينفثن عليها، فالنفاثات صفة للنفوس، واعتبر ذلك لمكان التأنيث، وقدر بعضهم النساء موصوفًا، والأول أولى ليشمل الرجال، ويطابق سبب النزول، فإن الذي سحره- عليه السلام- كان رجلًا على المشهور- كما سيأتي إن شاء الله، وقيل: أعانه بعض النساء، ولكون مثل ذلك من عمل النساء وكيدهن غلب المؤنث على المذكر هنا(٢).

وقد رجح ابن القيم- رحمه الله- أن المراد بالنفاثات هنا: الأرواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات، وعلل ذلك بأن تأثير السحر إنما هو من جهة الأنفس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه إنما يظهر منها، فلهذا ذكــرت (النفاثات) هنا بلفظ التأنيث دون التذكير(٣) ا.هـ.

وهناك قول آخر في معني: **(النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ)** وهو اختيار أبي مسلم-

---

(١) تفسير النسفي ج ٤ ص ٣٨٦، الأساس في التفسير ج ١٥ ص ٦٧٦٢.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٤.

(٣) التفسير القيم ص ٤٥٢.

رحمه الله- حيث قال: النفاثات: النساء، والعقد: عزائم الرجال وآراؤهم، مستعار من عقد الحبال، والنفث وهو تليين العقدة من الحبل بريق يقذفه عليه ليصير حبله سهلًا، فمعني الآية: إن النساء لأجل كثــرة حبهن في قلوب الرجال يتصرفن في الرجال يحولنهم من رأي إلى رأي، ومن عزيمة إلى عزيمة، فأمر الله تعالي رسوله ﷺ بالتعوذ من شرهن، كقوله تعالي: " **إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ** "(١)، فكذلك عظم الله تعالى كيدهن فقال: "**إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ**"(٢) وهذا القول ضعيف، وجمهور المفسرين على خلافه، ولذا قال الفخر الرازي- بعد ما ذكره في تفسيره- ما نصه: واعلم أن هذا القول حسن- لولا أنه على خلاف قول أكثر المفسرين(٣).

هذا وقال الشيخ محمد عبده- رحمه الله- في معني النفاثات في الآية: إن المراد بهم هنا هم النمامون، المقطعون لروابط الألفة، المحرقون لها بما يلقون عليها من ضرام نمائمهم، وإنما جاءت العبارة كما في الآية، لأن الله جل شأنه أراد أن يشبههم بأولئك السحرة المشعوذين، الذين إذا أرادوا أن يحلوا عقدة المحبة بين المرء وزوجه- مثلًا- فيما يوهمون به العامة، عقدوا عقدة ثم نفثوا فيها وحلوها، ليكون ذلك حلًا للعقد التي بين الزوجين، والنميمة تشبه أن تكون ضربًا من السحر، لأنها تحول ما بين الصديقين

---

(١) الآية (١٤) سورة التغابن.

(٢) الآية (٢٨) سورة يوسف، وانظر: التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٧٦، محاسن التأويل ج ٩ ص ٥١٦.

(٣) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٧٩.

من محبة إلى عداوة، بوسيلة خفية كاذبة، والنميمة تضلل وجدان الصديقين، كما يضلل الليل من يسير فيه بظلمته، ولهذا ذكرها عقب ذكر الغاسق([1])ا.هـ.

وفي الحقيقة أن هذا القول وإن كان صحيحًا في نفسه: لأن النميمة محرمة شرعًا ولها أثرها البالغ على الفرد والمجتمع- إلا أنه ضعيف في معني الآيـة، فلم يقل به أحد- فيما أعلم- من أهل اللغة، ولا من المفسرين أمثال ابن جرير الطبري، والفخر الرازي، والألوسي، وغيرهم.

والصحيح ما ذكرت من أن المراد بالمستعاذ منه هنا هو شر السحر، لأنه الجدير بأن يأمر الله تعالي رسوله ﷺ أن يستعيذ منه لضرره وخطره، وتخصيصه بالذكر لما جاء في الصحيح عن عائشة- رضي الله عنها- في سحر النبي ﷺ حتى أنه كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله.

حديث سحر النبي ﷺ

روى البخاري من طريق عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: سحر رسول الله ﷺ رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم، حتي كان يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء وما فعله، حتي إذا كان ذات يوم- أو ذات ليلة- وهو عندي، لكنه دعا و دعا ثم قال: يا عائشة، أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان، فقعد أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال أحدهما

([1]) تفسير جزء (عم) للشيخ محمد عبده ص ١٨١ الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده ج ٥ ص ٥٦٤، تحقيق الدكتور محمد عماره، تفسير المراغي ج ٣٠ ص ٢٦٧،.

لصاحبه: ما وجع الرجل؟ فقال: مطبوب(١)، قال: من طبه؟ قال: لبيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط(٢) ومشاطة، وجُف طلع(٣)نخلة ذكر، قال: وأين هو؟ قال؟ في بئر ذروان، فأتاها رسول الله ﷺ في ناس من أصحابه، فجاء فقال: يا عائشة، كأن ماءها نُقاعة الحناء، وكأن رؤوس نخلها رؤوس الشياطين، قلت: يا رسول الله أفلا: استخرجته؟ قال؟ قد عافاني الله، فكرهت أن أثير علي الناس فيه شرًا فأمر بها فدفنت(٤).

موقف العلماء من هذا الحديث

أنكر بعض العلماء هذا الحديث، وزعموا أن التسليم بصحته يحط من منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، ونقل الماتريدي عن أبي بكر الأصم أنه قال: إن حديث السحر المروي هنا متروك لما يلزمه من صدق قول الكفرة أنه- عليه الصلاة والسلام- مسحور، وهو مخالف لنص القرآن العظيم(٥).

---

(١) مطبوب: أي مسحور، يقال: طب الرجل- بالضم- إذا سحر.

(٢) المشط: بضم الميم ويجوز كسرها هو الآلة المعروفة التي يسرح بها شعر الرأس واللحية، وهذا هو المشهور.

(٣) الجف- بالفاء- هو الغشاء الذي يكون على الطلع، ويطلق علي الذكر والأنثى، ولهذا قيده بالذكر في قوله (طلعة ذكر)، ووقع في الرواية التي معنا بالتنوين فيهما على أن لفظ (ذكر) صفة الجف.

(٤) رواه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٢٣٢ كتاب الطب، باب: السحر، حديث رقم (٥٧٦٣).

(٥) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٥، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص

وقال الشيخ محمد عبده- رحمه الله- بعد أن فسر: " **النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ** " بالنمامين ما خلاصته: قد رووا هنا أحاديث في أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم، وأثر سحره فيه، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لا يفعله، أو يأتي شيئًا وهو لا يأتيه، وأن الله أنبأه بذلك، وأُخرجت مواد السحر من بئر، وعوفي ﷺ مما كان نزل به من ذلك، ونزلت هذه السورة، ولا يخفى أن تأثير السحر في نفسه- عليه السلام- ماس بالعقل آخذ بالروح، فهو مما يصدق قول المشركين فيه: " **إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا** "(١)، والذي يجب علينا اعتقاده أن القرآن مقطوع به، وأنه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم ﷺ فهو الذي يجب الاعتقاد بما يثبته، وعدم الاعتقاد بما ينفيه، وقد جاء بنفي السحر عنه- عليه الصلاة والسلام- حيث نسب حصوله إلى المشركين، ووبخهم على ذلك، فإذن هو ليس بمسحور قطعًا.

والحديث- علي فرض صحته- هو آحاد، والآحاد لا يؤخذ بها في العقائد، وعصمة النبي ﷺ من تأثير السحر في عقله عقيدة، لا يؤخذ في نفيها عنه إلا باليقين، ثم ساق كلامًا يؤيد ما ذهب إليه من نفي السحر عنه- ﷺ(٢)

٢٠٥٦.

(١) الآية (٨) سورة الفرقان.

(٢) تفسير جزء (عم) للشيخ محمد عبده ص ١٨١- ١٩٢ الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ج ٥ ص ٥٦٤- ٥٦٥ تحقيق الدكتور محمد عماره، تفسير المراغي ج ٣٠ ص ٢٦٨.

الرد على هؤلاء المنكريــن:

في الحقيقية أن ما زعمه هؤلاء المنكرون لحديث سحر النبي ﷺ الذي رواه البخاري وغيره من أصحاب الكتب الصحيحة باطل ومردود، لأنه قد قام الدليل على صدقه ﷺ وعصمته فيما يتعلق بالتبليغ والرسالة، قال الإمام المازري: قد أنكر ذلك الحديث المبتدعة لأنه يحط من منصب النبوة ويشكك فيها، وأن تجويزه يمنع الثقة بالشرع، وأجيب بأن الحديث صحيح وغير معارض للنص، ولا يلزم عليه حط منصب النبوة والتشكيك فيها، لأن الكفار أرادوا بمسحور أنه (مجنون) وحاشاه، أو مرادهم أن السحر أثر فيه وأن ما يأتيه من الوحي تخيلات السحر، وهو كذب أيضًا، لأن الله عصمه فيما يتعلق بالرسالة.

وأما ما يتعلق ببعض أمور الدنيا التي لم يبعث- عليه الصلاة والسلام- بسببها، وهي مما يعرض للبشر فغير بعيد أن يخيل إليه من ذلك مالا حقيقة له، وقد قيل: إنه إنما كان يخيل إليه أنه وطئ زوجاته وليس بواطئ، وقد يتخيل الإنسان مثل هذا في المنام، فلا يبعد تخيله في اليقظة([1]) ا.هـ.

وقال القاضي عياض: قد جاءت روايات حديث عائشة- رضي الله عنها- مبينة أن السحر إنما تسلط على جسده الشريف وظواهر جوارحه، لا على عقله وقلبه واعتقاده، ويكون معنى ما في بعض الروايات: حتي

([1]) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٥، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٥٦، فتح الباري شرح صحيح البخاري ج ١٠ ص ٢٣٧، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ج ٨ ص ٦٠٦.

يظن أنه يأتي أهله ولا يأتيهن، أنه يظهر له من نشاطه ومتقدم عاداته القدرة عليهن، فإذا دنا منهن أخذته أخذة السحر، فلم يأتهن ولم يتمكن من ذلك، وكل ما جاء في الروايات من أنه- عليه الصلاة والسلام- يخيل إليه فعل شيء ولم يفعله ونحوه، فمحمول على التخيل بالبصر لا لخلل تطرق إلى العقل، وليس في ذلك ما يدخل لبسًا علي الرسالة، ولا طعنًا لأهل الضلالة(١) ا.هـ.

وقال المهلب: ما ناله من ضرر السحر لا يدخل نقصًا على ما يتعلق بالتبليغ، بل هو من جنس ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض من ضعف عن الكلام، أو عجز عن بعض الفعل، واستدل ابن القصار علي أن الذي أصابه كان من جنس المرض بقوله- في آخر الحديث: أما أنا فقد عافاني الله، وفي رواية: فقد شفاني الله(٢) ا.هـ.

هذا وقد قال ابن القيم- بعد أن ذكر حديث عائشة السابق عند البخاري وغيره: وهذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقي بالقبول بينهم ولا يختلفون في صحته، وقد اعترض عليه كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفا حمل فيه علي هشام، وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال: غلط واشتبه عليـــه الأمر، ولم يكن من هذا شيء، لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يسحر

---

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٦، فتح الباري ج ١٠ ص ٢٣٧، فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور موسى شاهين لاشين ج ٨ ص ٥٥٨. .

(٢) فتح الباري ج ١٠ ص ٢٣٨، فتح المنعم شرح صحيح مسلم ج ٨ ص ٥٥٨.

فإنه يكون تصديقًا لقول الكفار: **"إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا "**(١)

وهذا الذي قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم، فإن هشامًا من أوثق الناس وأعلمهم، ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه، وقد رواه غير هشام عن عائشة، وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث، ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهاء، وهؤلاء أعلم بأحوال رسول الله ﷺ وأيامه من غيرهم(٢) ا.هـ.

---

(١) الآية (٨) سورة الفرقان.

(٢) التفسير القيم ص ٤٥٤.

الاستعاذة من شر الحسـد

" وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ " الشر المستعاذ منه هنا هو شر الحاسد، وقد عطف على شر الساحر المعطوف على شر الليل لمناسبة بينه وبين المعطوف عليه مباشرة، وبينه وبين المعطوف عليه بواسطة، فإن مما يدعو الحاسد إلى أذى المحسود أن يتطلب حصول أذاه، لتوهم أن السحر يزيل النعمة التي حسده عليها، ولأن ثوران وجدان الجسد يكثر في وقت الليل، لأن الليل وقت الخلوة، وخطور الخواطر النفسية والتفكر في الأحوال الحافة بالحاسد والمحسود(١)

والحسد كما يطلق علي تمني زوال النعمة عن الغير، يطلق على تمني استصحاب عدم النعمة ودوام ما في الغير من نقص أو فقر أو نحوه، والحاسد بكلا الإطلاقين ممقوت عند الله تعالي، وعند عباده، آت بابًا من الكبائر، ويطلق الحسد علي الغبطة مجازًا، وهي تمني أن يكون له مثل ما لأخيه من النعمة من غير تمني زوالها، وهذا لا بأس به إذا كان في الخير، ومن ذلك ما صح من قوله- ﷺ: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالًا وسلطه علي هلكته في الحق، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها للناس)(٢)

وإنما خص- تعالي- هؤلاء الثلاثة: الغاسق، والنفاثات، والحاسد بالنص على الإستعادة منهن، مع أن قوله: " **مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ** " يشملهم،

---

(١) التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٦٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري ج ١ ص ١٩٩ كتاب العلم، باب: الفهم في العلم رقم ٧٣ عن ابن مسعود- رضي الله عنه.

لأن كلًا منهم يخفي أمره، ويعظم ضرره ويلحق الشر بالإنسان من حيث لا يعلم، كأنما يغتال به، ولذا قالوا: شر العداة: المداجي الذي يكيدك من حيث لا تشعر(١).

وقد قيدت الاستعاذة من شر الحاسد بـ **(إِذَا حَسَدَ)** **أي** عند إيقاعه الحسد بالفعل، ولم يقيدها من شر الساحر إذا سحر، وذلك والله أعلم: أن النفث في العقد هو عين السحر، فتكون الاستعاذة واقعة موقعها عند سحره الواقع منه بنفثه الحاصل منه في العقد.

أما الحاسد فلم يستعذ منه إلا عند إيقاعه الحسد بالفعل، أي: عند توجهه إلى المحسود، لأنه قبل توجهه إلى المحسود بالحسد لا يتأتى منه شر، فلا محل للإستعاذة منه(٢).

وقيل: إن تقييد الاستعاذة من شر الحاسد بوقت **(إِذَا حَسَدَ)** لأنه حينئذ يندفع إلى عمل الشر بالمحسود، حين يجيش الحسد في نفسه، فتتحرك له الحيل والنوايا لإلحاق الضرر به(٣).

وعلل الإمام ابن القيم- رحمه الله- تقييده- سبحانه- شر الحاسد بقوله: **(إِذَا حَسَدَ)** بأن الرجل قد يكون عنده حسد، ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذي بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعامل أخاه إلا بما يحب الله، فهذا لا يكاد يخلو منه أحد إلا من عصمه

---

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٧، الكشاف ج ٤ ص ٦٥٢، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٥٨.

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٩ ص ٦٤٠، ٦٤١.

(٣) التحرير والتنوير ج ١٥ ص ٦٣٠.

الله عز وجل[1] ا.هـ.

هذا وقد ذكروا أن الحاسد والعائن- وهو من يصيب الناس ويؤذيهم بعينه- يشتركان في أن كلًا منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد أذاه، إلا أن العائن تتكيف نفسه عند مقابلة العين للمحسود والمعاينة له، والحاسد يحصل حسده في الغيبة والحضور وأيضًا العائن قد يعين- أي يصيب بعينيه- من لا يقصد حسده من إنسان أو حيوان أو زرع، وإن كان لا ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه نفسه[2].

وقد صح عن النبي ﷺ أن العين حق، ومن ذلك ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : العين حق، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين[3]، وفي صحيحه أيضًا- عن أنس: أن النبي ﷺ رخص في الرقية من العين والحمة والنملة[4]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله- ﷺ: العين حق، ونهى عن الوشم[5]

وروى الترمذي في سننه عن عبيد بن رفاعة الزرقي: أن أسماء بنت عُميس قالت: يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟

---

(1) التفسير القيم ص ٤٦٥.

(2) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٧، التفسير القيم ص ٤٦٠، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٥٨.

(3) رواه مسلم في صحيحه، انظر: مسلم بشرح النووي ج ١٤ ص ١٧١، كتاب السلام، باب: الرطب والمرض والرقى.

(4) المصدر السابق ج ١٤ ص ١٨٥ كتاب السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة.

(5) رواه البخاري، انظر: فتح الباري ج ١٠ ص ٢١٣ كتاب الطب، باب العين حق رقم (٥٧٤٠) عن أبي هريرة- رضي اله عنه.

فقال: نعم، فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين[1] إلى غير ذلك من الأحاديث.

والمقصود- كما قال ابن القيم: أن العائن حاسد خاص، وهو أضر من الحاسد، ولهذا- والله أعلم- إنما جاء في السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم، فكل عائن حاسد ولا بد، وليس كل حاسد عائنًا، فإذا استعاذ من شر الحاسد دخل فيه العائن، وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته[2]

ثالثـًا: فقه السورة أو الآيات وما يستفاد منها:

١) هذه السورة الكريمة تنقسم إلى قسمين: قسم مستعاذ به، وقسم مستعاذ منه، أما المستعاذ به فهو (رب الفلق)، وأما المستعاذ منه فهو (من شر ما خلق) وما بعده كالخاص بعد العام لأنه داخل فيـــه (ومن شر غاسق إذا وقب)، (ومن شر النفاثات في العقـــــد)، (ومن شر حاسد إذا حسد) فالكل من خلق الله تعالي، والحرص على تكرير لفظ (الشر) لزيادة التقرير والاعتناء.

وبعض المستعاذ منه جاء بلفظ النكرة، وبعضة جاء بلفظ المعرفة، فالذي هو شر محض ولا يكون إلا لإلحاق الأذى جاء معرفًا (النفاثات في العقد)، والذي لا يكون له شر إلا إذا باشر جاء منكرًا مقيدًا بـــــ (إذا)

---

(١) رواه الترمذي في سننه ج٤ ص ٣٩٥ كتاب الطب، باب: ما جاء في الرقيه من العين رقم (٢٠٥٩) وقال هذا حديث حسن صحيح، وذكره الألباني في السلسله الصحيحة رقم ج ٣ ص ٢٥٢ (١٢٥٢).

(٢) التفسير القيم ص ٤٦٢.

(غاسق إذا وقب)، (حاسد إذا حسد) فليس كل غاسق شريرًا، وليس كل حاسد يباشر الأذى.

والاستعاذة بالرب مضافًا إلى الفلق المشعر بالنور بعد الظلمة والسعة بعد الضيق، مناسب ذلك كله في المعني والصورة الذهنية لما يطلبه المستعيذ من النجاة والتخلص من الشرور التي يعددها ويخشاها وقعت به فعلًا أو يخاف وقوعها، فالذي قدر على الأول هو على الثاني أقدر، وبذلك وقعت المناسبة بين شقي السورة- المستعاذ به والمستعاذ منه.

٢) في السورة دليل على أن الله تعالى يخلق ما فيه الشر، بل ويخلق الشر نفسه، فهو خالق كل شيء من خير وشر، ونافع وضار، لكنه لا يأمر إلا بالخير والنافع، وسنة الحياة ونظام الكون يقتضي أن يوجد الخير بجوار الشر- وبضدها تتميز الأشياء، ولا يقال: كيف خلقه وأمر بالاستعاذة منه؟ لأنه- سبحانه- يبتلى ما شاء من عباده بما شاء من مخلوقاته، ولأنه يستعاذ به منه، ويقال في دعائه: أعوذ بك منك.

٣) في السورة كذلك دليل على إثبات السحر وأن له حقيقة، خلافًا لمن أنكر ذلك، قال الإمام المازري: مذهب أهل السنة وجمهور علماء الأمة على إثبات السحر، وأن له حقيقة، كحقيقة غيره من الأشياء الثابتة خلافًا لمن أنكر ذلك، ونفى حقيقته، وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلة لا حقائق لها، وقد ذكره الله في كتابه، وذكر أنه مما يتعلم، وأنه يفرق بين المرء وزوجه، كما قال تعالي " **فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا**

يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ "[1] وهذا كله لا يمكن أن يكون مما لا حقيقة له، والحديث الصحيح المتقدم- يعني حديث عائشة- مصرح بإثباته، ولا يستنكر في العقل أن الله تعالى يخرق العادة عند النطق بكلام ملفق، أو تركيب أجسام، أو المزج بين قوى لا يعرفها إلا الساحر، وأنه لا فاعل إلا الله تعالى، وما يقع من ذلك فهو عادة أجراها الله تعالى علي يد من يشاء من عباده[2] أ.هـ.

٤) في السورة- أيضًا- دليل على ذم الحسد، فالحاسد عدو نعمة الله على عباده، وقد قال بعض الحكماء: بارز الحاسد ربه من خمسة أوجه: أنه أبغض كل نعمة ظهرت على غيره، وثانيها: أنه ساخط على قسمة ربه، وثالثها: أنه ضاد فعل الله، أي إن فضل الله يؤتيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله، ورابعها: أنه يريد خذلان أولياء الله وزوال النعمة عنهم،وخامسها: أنه أعان عدوه إبليس.

وقيل في ذم الحاسد: إنه لا ينال في المجالس إلا ندامة، ولا ينال عند الملائكة إلا لعنة وبغضا، ولا ينال في الخلوه إلا جزعًا وغمًا، ولا ينال في الآخرة إلا حزنًا واحتراقًا، ولا ينال من الله إلا بعدًا ومقتًا[3].

وقد جاء النهي عن الحسد والتحذير منه في أحاديث كثيرة منها: ما رواه مسلم وغيره عن أنس- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: لا

---

(1) الآية (١٠٢) سورة البقرة.

(2) روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٦، تفسير القرآن الكريم وإعرابه للشيخ محمد علي طه الدرة ج ١٠ ص ٧٦٩، ٧٧٠.

(3) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥٠.

تباغضوا، و لا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا[1]

وروى أبو داود عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي ﷺ قال: إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، أو قال: العشب[2].

([1]) رواه مسلم في صحيحه، أنظر مسلم بشرح النووي ج ١٦ ص ١١٥، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدابر.

([2]) رواه أبو داود في سننه ج ٢ ص ٦٢٦ كتاب الآداب، باب: في الحسد، وذكره النووي في رياض الصالحين ص ٥٤٨ رقم ١٥٦٩ ونسبه إليه وذكره العجلوني في كشف الخفاء ج١ ص ٤٢٦ رقم (١١٣٢) وقال:رواه ابن ماجة عن أنس- رضي الله عنه ٠.

المبحث الثانـي

تفسير سورة (الناس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (١) مَلِكِ النَّاسِ (٢) إِلَهِ النَّاسِ (٣) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (٦)

أولًا : معاني المفردات:

(بِرَبِّ النَّاسِ) أي: مربيهم ومدبر أحوالهم، والرب في الأصل بمعني التربية، وهي إصلاح شئون الغير، ورعاية أمره، قال الهروي وغيره: يقال: لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد ربَه، ومنه سمي (الربانيون) لقيامهم بالكتب.

وفي الصحاح: ربّ فلان ولده يربه تربية أي: رباه، والمربون: جمع المربي، والرب يطلق على معان منها: المالك، والمصلح، والمعبود، والسيد المطاع، ولا يقال في غير الله تعالى إلا بالإضافة نحو رب الدار(١)، وفي الحديث: لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضئ ربك، لا يقل أحدكم ربي، وليقل سيدي ومولاي(٢)

---

(١) لسان العرب ج ١ ص ٣٨٤ مادة (ربب)، معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٣٨١ مـــــــــادة (رب)، المفردات في غريب القرآن ص ١٨٤، الجامع لأحكام القرآن ج ١ ص ١١٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري ج ٥ ص

(إِلَهِ النَّاسِ) أي: معبودهم الحق، يقال: أله يأله إلاهة و ألوهة: عبد، وتألّه: تعبد، والإله كل ما اتخذه الناس معبودًا بحق أو بغير حق، والمراد به هنا: المعبود بحق، وهو الله سبحانه وتعالي، إذ لا إله غيره، ولا معبود سواه(١).

(الْوَسْوَاسِ) بفتح (الواو) اسم بمعني الوسوسة، والمصدر بالكسر، والوسوسة هي الصوت الخفي، وحديث النفس، يقال: وسوست إليه نفسه وسوسة ووسواسًا- بالكسر- إذا حدثته، ويقال: لهمس الصائد، وأصوات الحلى وسواس، قال الأعشى:

"" تسمع للحلى وسواسًا إذا انصرفت ""

والمراد به هنا الشيطان، سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة(٢)

(الْخَنَّاسِ) صيغة مبالغة، أو نسبة، أي: الذي عادته أن يخنس، أي: يتوارى ويختفي ويتأخر، من الخنوس وهو التأخر، وسمي الشيطان بذلك لأنه يتوارى ويختفي إذا ذكر العبد ربه عز وجل(٣)

(مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ) الجنة- بكسر الجيم- الجن، جمع جني، وبضم

---

٢١٠ كتاب العتق، باب: كراهية التطاول علي الرقيق رقم (٢٥٥٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(١) المصباح المنير ج ١ ص ٢٧، القاموس القويم ج ١ ص ٢٦ التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٥٩.

(٢) تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٩٤، الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥١ الكشاف ج ٤ ص ٦٥٤.

(٣) روح المعاني ج ١٦ ص ٥١١، المفردات في غريب القرآن ص ١٥٩، القاموس القويم ج ١ ص ٢١١.

الجيم- الوقاية، وأصل الجَن: ستر الشيء عن الحاسة، يقال: جنه الليل وأجنه بمعني ستره، ومنه الجنان للقلب لاستتاره عن حاسة البصر، والجنة- بضم الجيم- الوقاية والستر، قال تعالي: **" اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً"**(١) أي: سترة ووقاية، وفي الحديث: الصوم جُنه(٢)، والجنة- بكسر الجيم- جماعة الجن(٣)

ثانيا : التفسير والبيـــان:

" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ " أي: قل يا محمد، والمراد هو وأمته، أعتصم وألتجئ وأستجير(**بِرَبِّ النَّاسِ**)أي: بخالق الناس، ومربيهم، ومدبر شئونهم الذي أحياهم وأوجدهم من العدم، وأنعم عليهم بأنواع النعم، وإنما خـــص الناس بالذكر- وإن كان جلت قدرته رب جميع الخلائق- تشريفًا وتكريمًا لهم، وفضلهم على سائر الخلق، كما قال تعالى: **" ولَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا "**(٤)

وقيل: إنما خص الناس بالذكر، وإن كان رب جميع المحدثات، لأنه لما أمر بالاستعاذة من شر الوسواس، فكأنه قال: أعوذ من شر الموسوس

---

(١) الآية (٢) سورة المنافقون.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه انظر فتح الباري ح ٤ ص ١٢٥ كتاب: الصوم، باب: فضل الصوم، رقم (١٨٩٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٩٨، القاموس القويم ج ١ ص ١٣٢، المصباح المنير ج ١ ص ١٥٤.

(٤) الآية (٧٠) سورة الإسراء.

إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم، وهو إلههم ومعبودهم، فإنه هو الذي يعيذ من شرهم(١).

سؤال وجوابـــه

إن قيل: قوله تعالى: **" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ "** ما فائدة إثبات (قل) في التلاوة مع عموم حكمها؟

جوابه: بالإضافة إلى ما ذكرته في سورة الفلق- أنه قد توجه الخطاب إلى النبي ﷺ تشريفًا له، وتخصيصًا بمزيد الاعتناء بالمخاطبة، ومثله: **" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ "**(٢) ونحو ذلك. وأيضا لو بدئ بـ **(أَعُوذُ)** لم يكن فيه من التنصيص على الأمر بها ما في قوله: **(قُلْ)** لتطرق احتمال قصد الإخبار مع بُعده(٣).

(مَلِكِ النَّاسِ) أي: المالك لأمرهم ملكًا تامًا، والمتصرف في شئونهم تصرفًا كاملًا.. وهو- كما قال الزمخشري- عطف بيان جئ به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريقة تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم، بل بطريق الملك الكامل، والتصرف الكلي، والسلطان القاهر(٤).

(إِلَهِ النَّاسِ) أي: معبودهم الحق، الذي يجب أن يخصوه بالعبادة

---

(١) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٨٠، الكشاف ج ٤ ص ٦٥٣، زاد المسير في علم التفسير ج ٤ ص ٥١٠.

(٢) الآية (١) سورة الطلاق.

(٣) كشف المعاني في متشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة ص ٢٠٨.

(٤) الكشاف ج ٤ ص ٦٥٣، تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٩٤، روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٩.

وحده، وهو أيضًا عطف بيان- على ما اختاره الزمخشري- جيء به بعد: **(مَلِكِ النَّاسِ)** لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الإستيلاء عليهم، والقيام بتدبير أمورهم، كما هو قصارى أمر الملوك، بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المتقضية للقدرة التامة على التصرف الكامل فيهم: إحياء وإماتة، وإيجادًا وإعدامًا(١).

وقال القرطبي: وإنما قال **(مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ)** لأن في الناس ملوكًا، فذكر أنه ملكهم، وفي الناس من يعبد غيره، فذكر أنه هو إلههم ومعبودهم، وأنه هو الذي يجب أن يستعاذ به، وُيلجأ إليه، دون الملوك والعظماء(٢) ا.هـ.

سؤال وجوابـــه

إن قيل: لم بدأ بـ **(بِرَبِّ النَّاسِ)** ثم **(مَلِكِ النَّاسِ)** ثم **(إِلَهِ النَّاسِ)** علي هذا الترتيب؟ وما فائدة إعادة (الناس) ظاهرًا مع إمكان ضميره؟ ولم خص **(النَّاسِ)** بذلك؟

جوابـه: أن الباري تعالى ربى الناس بنعمه أجنة وأطفالًا وشبابًا فقال: **(رَبِّ النَّاسِ)** فلما شبوا عرفوا أنهم عبيد لملك قاهر لهم، وهو الله- سبحانه وتعالي، فقال: **(مَلِكِ النَّاسِ)**، فلما عرفوا وجوده وملكه- سبحانه- كلفوا بعبادته وأمره ونهيه وانفراده بالألوهية والعبادة فقال: **(إِلَهِ النَّاسِ)** .

وأما تكرار (الناس): فإما لمشابهة رؤوس الآي كغيرها من السور، أو

---

(١) الكشاف ج ٤ ص ٦٥٣، روح المعاني ج ١٦ ص ٥٠٩.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥١، صفوة التفاسير ج ٢ ص ١٢٥.

لأن الأوصاف الثلاثة أتى بها عطف بيان كقولك: الفاروق أبو حفص عمر، لقصد البيان، فكان التصريح بلفظ (الناس) أصرح في البيان من الضمائر.

وخص (الناس) بذلك: لأن غيرهم لا يدعي الربوبية والملك، والألوهية، فبين أنه إله من قد يوصف بذلك، فغيرهم أولى بأنه إلههم(١). ا.هـ.

وقيل: إن ترتيب السورة بهذا الشكل في منتهي الإبداع، وذلك لأن الإنسان أولًا يعرف أن له ربًا لما يشاهده من أنواع التربية: **(رَبِّ النَّاسِ)** ثم إذا تأمل عرف: أن هذا الرب متصرف في خلقه، غني عنهم، فهو الملك لهم: **(مَلِكِ النَّاسِ)** ثم إذا زاد تأمله عرف أنه يستحق أن يعبد لأنه لا عبادة إلا للغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه: **(إِلَهِ النَّاسِ)**. وإنما كرر لفظ (الناس) ثلاثًا، ولم يكتف بالضمير لإظهار شرفهم، وتعظيمهم، والاعتناء بشأنهم.

وقيل: لا تكرار، فإنه يجوز أن يراد بالعام بعض أفراده، فالناس الأول بمعني الأجنة والأطفال المحتاجين للتربية، والناس الثاني: المراد بهم الكهول والشبان، لأنهم المحتاجون إلى من يسوسهم، والناس الثالث: الشيوخ المتعبدون المتوجهون إلى الله عز وجل(٢). أ.هـ.

---

(١) كشف المعاني في متشابه المثاني ص ٢٠٩، ٢١٠.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٥١١، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ص ٤٠٧، درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي ص ٣٠٦، أسرار التكرار في القرآن للكرماني ص ٢٥٨، التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٨١ صفوة التفاسير ج ٢٠ ص ١٢٥.

والمقصود- كما قال ابن القيم الاستعاذة بمجموع هذه الصفات، حتي كأنها صفة واحدة.

وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب، وأخر الإلهية لخصوصها لأنه- سبحانه- إنما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلهًا، ووسط صفة الملك بين الربوبية والإلهية لأن الملك هو المتصرف بقوله وأمره، فهو المطاع إذا أمر، وملكه لهم تابع لخلقه إياهم، فملكه من كمال ربوبيته، وكونه إلههم الحق من كمال ملكه، فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه، وملكه يستلزم إلهيته ويقتضيها، هو الرب الحق، الملك الحق، الإله الحق، خلقهم بربوبيته، وقهرهم بملكه، واستعبدهم بإلهيته. فتأمل هذه الجلالة، وهذه العظمة التي تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على أبدع نظام، وأحسن سياق: "بِرَبِّ النَّاسِ*مَلِكِ النَّاسِ*إِلَهِ النَّاسِ"(١).ا.هـ

الاستعاذة من شر الشيطان ووسوسته

(مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ) بيان للمستعاذ منه، وهو شر الشيطان، بعد بيان المستعاذ به، وهو: **(بِرَبِّ النَّاسِ* مَلِكِ النَّاسِ* إِلَهِ النَّاسِ)** والمعني: قل أعتصم وأتحصن برب الناس وملكهم وإلههم من شر الشيطان الموسوس للناس، الكثير الخنوس والاختفاء، لأنه يأتي من ناحية الباطل فلا يستطيع مقاومة الحق إذا صدمه، ولكنه يذهب بالنفس إلى أسوأ مصير إذا انجرت مع وسوسته، وانساقت معه في تحقيق ما خطر بالبال.

والظاهر أن المراد الاستعاذة من شر الوسواس من حيث هو وسواس،

---

(١) التفسير القيم ص ٤٧٧.

ومآله إلى الاستعاذة من شر وسوسته، وقيل: المراد الاستعاذة من جميع شروره المؤثرة على البدن والنفس، وعد من شره- كما جاء في الصحيح(١): أنه يعقد علي قافية رأس العبد إذا هو نام ثلاث عقد، مراده بذلك منعه من اليقظة للعبادة، وبعضهم عد منه التخبط، إذ الحق عند أهل السنة أن التخبط قد يكون من مس الشيطان(٢).

والخناس: الذي يخنُس، أي: يتوارى ويختفي أو يتأخر إذا ذكر الله عز وجل، من الخنوس وهو التأخر.

قال القرطبي- رحمه الله: ووصف- يعني الشيطان- بالخناس لأنه كثير الاختفاء، ومنه قوله تعالي: **(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ)**(٣) يعني النجوم لاختفائها بعد ظهورها، وقيل: لأنه يخنُس: إذا ذكر العبد الله تعالي، أي: يتأخر(٤)

وقد ورد عن أنس- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم، فإذا ذكر الله خنس، وإذا نسي الله التقم قلبـه.(٥)

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، انظر: فتح الباري ج ٣ ص ٣٠ كتاب التهجد، باب: عقد الشيطان علي قافية الرأس رقم ١١٤٢ عن ابي هريرة- رضي الله عنه.

(٢) روح المعاني ج ١٦ ص ٥١١، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٦٠.

(٣) الآية (١٥) سورة التكوير.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥٢، اللباب في علوم الكتاب لابن عادل ج ٢٠ ص ٥٧٨٠.

(٥) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب مكائد الشيطان ج ٢ ص ١٩ رقم (٢٣)، وابن أبي شيبة في مصنفه ج ٧ ص ١٣٥، رقم (٣٤٧٧٤)، وأبو يعلى في مسنده ج ٧ ص ٢٧٨

وفي رواية أخرى بلفظ: إن الشيطان جاثم على قلب ابن أدم، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل التقمه.

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: ما من مولود إلا على قلبه الوسواس، فإن ذكر الله خنس، وإن غفل وسوس، فذلك قوله: **" الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ "**(١)

محل الوسوسة وحقيقتها

"الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاس" صفة للوسواس الخناس، لبيان أنه يوسوس في صدور الناس، أي: يلقى فيها خفية صنوف الوساوس والأوهام، قال القرطبي: ووسوسته: هو الدعاء لطاعته بكلام خفي يصل مفهومه إلى القلب من غير سماع صوت(٢). ا.هـ.

والمراد بصدور الناس: قلوبهم، وإنما جعلت الوسوسة في الصدور، لأنه عهد في كلام العرب أن الخواطر في القلب، والقلب مما حواه الصدر

رقـــم (٤٣٠١)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة ج ١٠ ص ١٧٥ رقم (١٧٢)، وابن عدي في الكامل في ضعفاء الرجال ج ٣ ص ١٨٦ رقم (٦٨٧) وضعفه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ١٤٩ وقال: رواه أبو يعلى وفيه عدي بن أبي عمارة، وهو ضعيف، والسيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٢٠ ونسبه إلى ابن أبي الدنيا وأبي يعلي وابن شاهين والبيهقي في الشعب عن أنس، وله شاهد من حديث ابن عباس.

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٢ ص ٥٩٠ كتاب التفسير، تفسير سورة الناس رقم ٣٩٩١ وقال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخيين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٢٠ ونسبه الي ابن ابي الدنيا. وابن جرير، وابن المنذر، والحاكم وصححه، وغيرهم.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥٣.

عندهم، ألا تراهم يقولون: إن الشك يحول في صدرك، ويجيش في صدري، وما الشك إلا في نفسه وعقله وقلبه.

وقال بعضهم: إن الشيطان يدخل الصدر، فيلقى منه ما يريد إلقاءه إلى القلب، ويوصله إليه، ولا مانع من دخوله في جوف الإنسان، وقد ورد السمع به، فوجب قبوله، والإيمان به، ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أنس- رضي الله عنه- في قصة زيارة صفية للنبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال رسول الله- ﷺ: (على رسلكما إنها صفية بنت حيي)، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، فقال: إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئًا- أو قال: شرًا[1].

فهذا الحديث يدل على أن للشيطان قدرة على النفوذ إلى قلب ابــن آدم وصدره، فهو يجري منه مجرى الدم، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه، كمــا ثبت فــي الصحيح عن النبي ﷺ قال: ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن، قالوا: وأنت يا رسول الله؟ قال: نعم إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير[2].

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٢ ص ٧١٧ كتاب الاعتكاف، باب: زيارة المرأة زوجها في اعتكافه رقم (١٩٣٣، ١٩٣٤)، مسلم في صحيحه ج ٤ ص ١٧١٢ كتاب السلام، باب: بيان أنه يستحب لمن رُؤى خاليًا بامرأة وكانت زوجة أو محرمًا له أن يقول: هذه فلانه ليدفع طن السوء به.

(2) أخرجه مسلم في صحيحة ج ٤ ص ٢١٦٧ كتاب: صفة القيامة، باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا رقم (٢٨١٤) عن ابن مسعود- رضي الله عنه.

وفي الصحيح أيضًا- عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها ليلًا، قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أصنع، فقال: مالك يا عائشة: أغرت؟ فقلت: ومالي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله- ﷺ: أقد جاءك شيطانك؟ قالت: يا رسول الله: أو معي شيطان؟ قال: نعم، قلت: ومع كل إنسان، قال: نعم، ومعك يا رسول الله قال: نعم ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم(١)

تحقيق معني الوسوسة:

قال الإمام الغزالي- رحمه الله- في بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس، ومعني الوسوسة وسبب غلبتها ما ملخصه:-

القلب مثل قبة لها أبواب تنصبّ إليها الأحوال من كل باب، أو مثل هدف يرمى إليه السهام من كل جانب، أو مثل مرآة منصوبة تجتاز عليها الأشخاص فتتراءى فيها صورة بعد صورة، أو مثل حوض تنصب إليه مياه مختلفة من أنهار مفتوحة، وهذه الآثار المتجددة في القلب في كل حال، إما من الظاهر كالحواس الخمس، وإما من الباطن كالخيال والشهوة والغضب و الأخلاق المركبة من مزاج الإنسان، فإنه إذا أدرك بالحواس شيئًا حصل منه أثر في القلب، وكذلك إذا هاجت الشهوة أو الغضب حصل من تلك الأحوال أثر في القلب، وإذا منعت الحواس عن إدراكاتها الظاهرة فالخيال يبقى، وينتقل الخيال من شيء إلى شيء،

---

(١) المصدر السابق ج ٤ ص ٢١٦٨ كتاب: صفة القيامة والدجنة والنار، باب: تحريش الشيطان، وأن مع كل إنسان قرينًا رقم (٢٨١٥).

وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال، فالقلب أبدًا في التغير والتأثر من هذه الأسباب، وأخص الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر، وهي ما يعرض فيه من الأفكار والأذكار، ثم هي إما علي سبيل التجدد أو على سبيل التذكر، وإنما تسمى خواطر من حيث إنها تخطر بالخيال بعد أن كان القلب غافلا عنها.

فالخواطر هي المحركات للإرادات، والإرادات محركة للأعضاء، ثم هذه الخواطر المحركة للإرادات تنقسم الي ما يدعو الي الشر- أعني ما يضـــرسول الله ﷺ في العاقبة- وإلى ما يدعو إلى الخير- أعني ما ينفع في العاقبة- فهما خاطران مختلفان، فافتقرا إلى اسمين مختلفين، فسمي الخاطر المحمود إلهامًا، والمذموم وسواسًا، ثم هذه الخواطر أحوال حادثة، فلا بد لها من سبب، فسبب خاطر الخير الملك، وسبب خاطر الشر الشيطان، فالوسوسة في مقابلة الإلهام، والشيطان في مقابلة الملك.

ثم قال- رحمه الله: ولا يمحو وسوسة الشيطان من القلب إلا ذكر ما ســـوي ما يوسوس به، لأنه إذا خطر في القلب ذكر شيء انُعدم منه ما كان مـــن قبل، ولكن كل شيء سوى الله تعالي، وسوى ما يتعلق به، فيجوز أيضًا أن يكون مجالًا للشيطان، وذكر الله هو الذي يؤمن جانبه، ويعلم أن ليس للشيطان فيه مجال، ولا يعالج الشيء إلا بضده، وضد جميع وساوس الشيطان ذكر الله بالاستعاذة والتبرؤ عن الحول والقوة(١). ا.هـ.

---

(١) إحياء علوم الدين ج ٣ ص ٢٩- ٣١، محاسن التأويل ج ٩ ص ٥٢١- ٥٢٢.

شياطين الإنس والجـن

" مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ" بيان للذى يوسوس، بعد بيان محل الوسوسة، وهـو **" فِي صُدُورِ النَّاس"**، ذلك أن الموسوس نوعان: إنسي وجني، كما قال تعالى: **" وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا "**(١)، وروى الإمام أحمد عن أبي ذر- رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال له: يا أباذر: تعوذ بالله من شياطين الإنس والجن، قال: فقلت: أو للإنس شياطين؟ قال: نعم.(٢)

وعن الحسن قال: هما شيطانان، أما شيطان الجن فيوسوس في صدور الناس، وأما شيطان الإنس فيأتي علانية(٣).

وقال قتادة: إن من الجن شياطين، وإن من الإنس شياطين، فتعوذ بالله من شياطين الإنس والجن(٤).... إلى غير ذلك من الأحاديث والآثار التي تدل على أن من الإنس شياطين، كما أن من الجن شياطين، ولا شك أن شياطين الإنس أشد فتكًا وخطرًا من شياطين الجن، فإن شيطان الجن

---

(١) الآية (١١٢) سورة الأنعام.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ج ٥ ص ١٧٨، ١٧٩ رقم (٢١٥٨٦)، والطبراني في المعجم الأوسط ج ٥ ص ٧٧ رقم (٤٧٢١)، والمعجم الكبير ج ٨ ص ٢١٧ رقم (٧٨٧١)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١ ص ١٥٩ وقال: رواه أحمد والطبراني في الكبير ومداره علي: علي بن يزيد، وهو ضعيف.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥٣، اللباب في علوم الكتاب ج ٢٠ ص ٥٧٩.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ج ٦ ص ٤٢٠ ونسبه إلى عبد الرزاق وابن المنذر عن قتادة بنحوه، وذكره القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٠ ص ٧٣٥٣ عن قتادة بلفظه.

يخنس بالاستعاذة، أما شيطان الإنس فيزين له الفواحش، ويغريه بالمنكـــرات، ولا يثنيه عن عزمه شيء، والمعصوم من عصمه الله عز وجل.

هذا ويجوز: أن يكون قوله: **" مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ"**متعلقا بـ (يوسوس) و(من) لابتداء الغاية، أي: يوسوس الموسوس في صدور الموسوس إليهم من جهة الجن أنهم ينفعون أو يضرون، ومن جهة الناس: أن المنجمين والكهان يعلمون الغيب(١).

وقيل: إن قوله تعالي: **"مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاس"** بيان للناس الموسوس في صدورهم، بناء على أن اسم الناس يطلق على الجن أيضًا، فيقال: ناس من الجن، كما يقال: نفر ورجال منهم، واستدل أصحاب هذا القول بقوله تعالي- في سورة الجـــــن:

"وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا"(٢) وبما ذكر عن بعض العرب أنه قال وهو يحدث: جاء قوم من الجن فوقفوا، فقيل: من أنتم؟ قالوا: أناس من الجن(٣)

وهذا القول ضعيف بل باطل، لأن لفظ (الناس) أظهر وأشهر في الإنس، وهو المعروف في استعمال القرآن، وقد أبطله الإمام الزمخشري فقال- بعد أن حكاه- ما نصه: واستدلوا بنفر ورجال في سورة (الجن)،

---

(١) روح المعاني ج ١٦ ص ٥١٢، ٥١٣، تفسير أبي السعود ج ٥ ص ٢٩٤، التفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية ج ٣ ص ٢٠٦٢.

(٢) الآية ٦ سورة الجن .

(٣) تفسير البغوي ج ٨ ص ٥١٨.

وما أحقه لأن الحن سموا (جنًا) لاجتنانهم، والناس (ناسًا) لظهورهم من الإيناس، وهو الإبصار، كما سموا بشرًا ولو كان يقع الناس على القبيلين- أي الإنس والجن- وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن، وبُعده عن التصنع([1]) ا.هـ.

وضعفه- أيضًا- العلامة الألوسي حيث قال- بعد أن ذكره: وفيه أن المعروف عند الناس خلافه مع ما في ذلك من جعل قسم الشيء قسيمًا له، ومثله لا يناسب بلاغة القرآن، وتعقب أيضًا- بأنه يلزم عليه القول بأن الشيطان يوسوس في صدور الجن، كما يوسوس في صدور الإنس، ولم يقم دليل عليه...وأقرب منه أن يراد بالناس: الناسي (بالياء) ثم يبين بالجنة والناس، فإن كل فرد من أفراد الفريقين مبتلى بنسيان الله تعالي، إلا من تداركه شوافع عصمته، وتناوله واسع رحمته([2]) ا.هـ .

ثالثًا: فقه السورة أو الآيات وما يستفاد منها:

١) هذه السورة كالتي قبلها تنقسم إلى قسمين:

مستعاذ به، ومستعاذ منه، أما المستعاذ به فهو رب الناس وملكهم ومعبودهم، وأما المستعاذ منه فهو شر الوسواس الخناس، الموسوس في صدور الناس، وقد جاءت الاستعاذة في السورتين بلفظ (رب) مضافًا إلى ما فيه عموم في السورة الأولى (رب الفلق)، والفلق شامل لبروز أي شيء من أي شيء. حتي قيل بشموله للوجود كله الذي انفلق عنه العدم،

([1]) الكشاف ج ٤ ص ٦٥٤.

([2]) روح المعاني ج ١٦ ص ٥١٣.

فكان في المستعاذ منه كذلك في نفس السورة عموم وشمول (من شر ما خلق) وما بعده تفصيل له، لكن لما جاء التخصيص للربوبية بالناس في المستعاذ به في السورة الثانية (سورة الناس) جاء التخصيص كذلك في المستعاذ منه، وهو الشيطان الموسوس، أي: وسوسة الشيطان، فالعموم في السورة الأولى في المستعاذ به قابله العموم فيها في المستعاذ منه، والخصوص في السورة الثانية قابله الخصوص(١).

وقيل: إن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة، وهي أنه (رب الفلق)، والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات، وهـــي "الغاسق" و"النفاثات" و"الحاسد"، وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بصفات ثلاثه: هي الرب و الملك والإله، والمستعاذ منه آفه واحده، وهي الوسوسة، والفرق بين الموضعين يجب أن يتقدر بقدر المطلوب، فالمطلوب في السورة الأولى سلامة النفس والبدن، والمطلوب في السورة الثانية سلامة الدين، وهذا تنبيه على أن مضرة الدين وإن قلت، أعظم من مضار الدنيا وإن عظمت(٢)ا.هـ.

٢) تخصيص الربوبية وما بعدها بالناس، وتكرار لفظ (الناس) في السورة خمس مرات في خمس فواصل، وجعل السورة الكريمة مسك ختام القرآن، في كل ذلك- كما قال الفخر الرازي مزيد شرف للناس، لأنه- سبحانه- كأنه عرف ذاته بكونه ربًا للناس، ملكًا للناس، إلهًا للناس، ولولا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج ٩ ص ٧٨.
(٢) التفسير الكبير ج ٣٢ ص ١٨٢.

أن الناس أشرف مخلوقاته وإلا لما ختم كتابه بتعريف ذاته بكونه ربًا وملكًا وإلهًا لهم.([1])

٣) لما ذكر في فاتحة الكتاب أن العبد يتوجه بالعبادة لله وحده في قوله تعالي: **"إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"**([2])، ويرجوه الهداية في قوله: **"اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ"**([3])، وكان لا يستقيم له ذلك كله ولا يصفو إذا سلم من الشيطان ووسوسته، علمه ربه عز وجل في خاتمة هذا الكتاب نفسه طلب النجاة من كيد الشيطان ووسوسته، وعرفه أنه بصفاته الثلاث: الربوبية، والملك، والألوهية، يحمي المستعيذ من شرور الشيطان وأضراره في الدين والدنيا والأخرة([4]).

(١) كما دلت السورة على فضل الاستعاذة من الشيطان ووسوسته، وقد ورد في ذلك أحاديث كثيرة منها: ما رواه الشيخان عن سليمان بن صرد قال: كنت جالسًا مع النبي ﷺ، ورجلان يستبان، وأحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله- ﷺ: إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب منه ما يجد، فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: تعوذ بالله من

([1]) المصدر السابق ج ٣٢ ص ١٨١.

([2]) الآية (٥) سورة الفاتحة.

([3]) الآية (٦) سورة الفاتحة.

([4]) محاضرات في تفسير القرآن لأستاذنا الدكتور عبد الغني الراجحي وآخرين ص ١١١، أضواء البيان ج ٩ ص ٦٨٥، التفسير المنير ج ٣٠ ص ٤٨٢.

الشيطان الرجيم([1]).

سؤال وجوابـه

فإن قيل: ما بالنا نتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم نقع في الخطأ والنسيان ونبتلى بالعصيان؟

جوابــه: أن الاستعاذة كالسيف في يد المقاتل، فإن كانت يده قوية أصاب من عدوه مقتلًا، وإلا فإنه قد لا يؤثر فيه، ولو كان السيف صقيلًا حديدًا.

وكذلك الاستعاذة إذا كانت من تقي ورع كانت نارًا تحرق الشيطان، وإذا كانت من مخلط ضعيف الإيمان فلا تؤثر في العدو تأثيرًا قويًا.

قال ابن الجوزي- رحمه الله: اعلم أن مثل إبليس مع المتقي والمخلط كرجل جالس بين يديه طعام ولحم فمر به كلب، فقال له اخسأ فذهب، فمر بآخر بين يدية طعام ولحم فكلما أخسأه- طرده- لم يبرح، فالأول مثل المتقي يمر به الشيطان فيكفيه في طرده الذكر، والثاني مثل المخلط لا يفارقه الشيطان لمكان تخليطه، نعوذ بالله من الشيطان([2]) ا.هـ.

وقال نجم الدين النسفي- في الجواب على نفس السؤال: إن حفظ الله تعالي العبد عند عياذه به موعود على التقوي والتذكر والإبصار قال

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه ج ٣ ص ١١٩٥ كتاب: بدء الخلق، باب: صفة إبليس وجنوده رقم (٣١٠٨)، ج ٥ ص ٢٢٤٨ كتاب: الأدب باب: ما ينهي من السباب واللعن رقم (٥٧٠١)، ومسلم في صحيحه ج ٤ ص ٢٠١٥ كتاب: البر والصلة والآداب، باب: فضل من يملك نفسه عند الغضب رقم (٢٦١٠).

([2]) تلبيس إبليس ص ٤٢، عالم الجن والشياطين للدكتور / عمر سليمان الأشقر ص ١٢٢.

تعالي: **" إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ"**(١)

فمن أخل بهذه الشروط لم ينل هذا الموعود، ومثال من يستعيذ بالله من الشيطان ثم يتبعه إذا دعاه إلى العصيان كتاجر يسافر بمال خطير، ويلتجئ في حفظه إلى خفير كبير، ثم يستجيش دهاة السراق من أقاصي الآفاق(٢) ا.هـ

اللهم أنت المستعاذ، وإليك الملجأ والملاذ، وعليك المعوّل، وأنت أكرم من تفضل، فتفضل علينا بعصمتنا من الشيطان الرجيم وجنوده وأعوانه من الجن والانس، إنك أنت السميع العليم **"إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ "**(٣)، **" سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ "**(٤)

---

(١) الآية (٢٠١) سورة الأعراف.

(٢) رسالة في شرح الاستعاذة لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق، تحقيق ودراسة الدكتور أيمن صبحي ص ٢١٨، بحث بحولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد السابع والعشرون.

(٣) الآية (١٠٠) سورة يوسف.

(٤) الآيات (١٨٠- ١٨٢) سورة الصافات.

الخاتمـــة

بعد أن انتهيت- بعون الله وتوفيقه- من هذا البحث (أضواء على تفسير المعوذتين) أذكر أهم النتائج التي يمكن أن تستخلص منه، وذلك فيما يلي:

١- فضل سورتي (الفلق، الناس) وأهميتهما في حياة كل مسلم، لما اشتملتا عليه من الاستعاذة من شرور كثيرة في الدين والدنيا والنفس والمال والولد.

٢- أن لهاتين السورتين الكريمتين أكثر من اسم، منها ما هو توقيفي كالمعوذتين، ومنها ما هو اجتهادي كالمقشقشتين والمشقشقتين..

٣- اختلاف العلماء في زمن نزول هاتين السورتين، والصحيح- كما ذكرت- أنهما مكيتان، فأسلوبهما وقصر آياتهما يرجح مكيتهما، وأما ما اعتمد عليه أصحاب القول الآخر من أن سبب النزول يؤيد أنهما مدنيتان فهو ضعيف لم يرد في صحاح الأحاديث وأحاديث الصحاح.

٤- أن عدد آيات سورة الفلق خمس باتفاق، أما سورة الناس فالراجح أنها ست آيات لا سبع، وإن اختاره البعض، وعلى هذا فعدد آيات السورتين إحدى عشرة آية.

٥- أن هاتين السورتين من القرآن بإجماع المسلمين، وأن ما نقل عن ابن مسعود من إنكار قرآنيتهما غير صحيح، وعلى فرض صحته فيحمل على أنه كان قبل علمه بذلك، فلما تبين له قرآنيتهما رجع عن رأيه إلى رأي الجمهور.

٦- أن المقصود الأعظم لهاتين السورتين هو تعليم النبي ﷺ وأمته من بعده كيفية الاستعاذة بالله عز وجل من كل ما ينبغي أن يحذر منه في أمر

الدين والدنيا، وقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يتعوذ بهما، ويأمر أصحابه بالتعوذ بهما.

٧- أن الخطاب في هاتين السورتين عام للرسول ﷺ ولأمته من بعده، لأنه لا يوجد دليلٌ على تخصيص الرسول ﷺ به.

٨- أن الرسول ﷺ ليس له في القرآن إلا إبلاغه، بدليل أنه لما قيل له (قل) قال كما امره الله عزوجل (وما على الرسول إلا البلاغ)

٩- أن الله تعالي يخلق ما فيه الشر، بل ويخلق الشر نفسه، فهو خالق كل شيء من خير وشر، ونافع وضار لكنه لا يأمر إلا بالخير والنافع.

١٠- أن جمهور العلماء من أهل السنة على إثبات السحر وأن له حقيقة خلافًا لمن أنكر ذلك ونفى حقيقته، وإلا لما أمر تعالى بالتعوذ من شر النفاثات في العقد.

١١- أن حديث سحر النبي ﷺ صحيح، وأن ما أصابه كان من قبيل المرض الذي يصيب البدن ولا يؤثر على العقل أو الرسالة بدليل قوله ﷺ في الحديث: (أما أنا فقد عافاني الله).

أن هناك فرقًا بين الحسد والغبطة، فالحسد تمني زوال النعمة عن الغير، وهذا مذموم، بل هو من الكبائر، أما الغبطة فهي أن يتمني مثل ما لأخيه من النعمة من غير تمني زوالها، وهذا جائز وخاصة إذا كان في الخير.

١٢- أن الحاسد والعائن يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء، فيشتركان في أن كلا منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من تريد أذاه، ويفترقان في أن العائن قد يصيب بعينيه من لا يقصد حسده، وربما

أصابت عينه نفسه.

١٣- أن الشيطان يشتد هروبه ورجوعه عند ذكر العبد لربه عز وجل، فإذا غفل العبد عاوده بالوسوسة.

١٤- أن للشيطان قدرة علي النفوذ إلى قلب ابن آدم وصدره، فهو يجرى منـــه مجرى الدم، وقد وكل بالعبد فلا يفارقه إلى الممات، فينبغي الحذر منه، والإستعاذة من شره.

١٥- أن ذات الشيطان لا يستعاذ منها، فلابد من تقدير محذوف، وأولى ما يقدر: من همز الشيطان أو من وسوسته، لأنه قد جاء الأمر بالإستعاذة منهما في قوله تعالـــــي: **" وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ"** وقولـــــــــه:**" قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ "** إلى قوله: **" مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ"**

١٦- أن الوسوسة يشترك فيها شياطين الإنس والجن، وأن شياطين الإنس أشـــد خطرًا من شياطين الجن، فنعوذ بالله من شياطين الإنس والجن.

إلى غير ذلك من النتائج التي يمكن أن تستخلص من البحـــث.

فهرس المراجـــع

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي طبعة دار المعرفة / بيروت.
- الأحاديث المختارة لمحمد بن عبد الواحد المقدسي، تحقيق: عبد الملك بن دهيش، مكتبة النهضة الحديثة- مكة المكرمة، الطبعة الأولى لسنة ١٤١٠هـ
- أحكام القرآن لابن العربي، طبعة دار الحديث القاهرة، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي.
- إحياء علوم الدين للغزالي، طبعة دار إحياء الكتب العربية.
- الأساس في التفسير للأستاذ سعيد حوى، طبعة دار السلام، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٥ م.
- أسرار التكرار في القرآن للكرماني، طبعة دار الفضيلة، تحقيـق: عبد القادر أحمد عطا.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، طبعة دار الفكر/ بيروت.
- إعراب القرآن المنسوب للزجاج، طبعة دار عمان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ
- إعراب القرآن الكريم وبيان معانيه للدكتور محمد حسن عثمان، نشر دار الرسالة، القاهرة.
- الأعمال الكامله للشيخ محمد عبده، طبعة دار الشروق، تحقيق الدكتور محمد عمارة ١٤٢٧ هـ.

- إملاء ما من به الرحمن للعكبري، طبعة دار الفكر سنة ١٩٨٦ م.
- البحر المحيط في التفسير لأبي حيان، طبعة دار الفكر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ.
- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد لابن عجيبة، طبعة دار الكتب العلمية / بيروت، تحقيق: عمر أحمد الراوي.
- البرهان في تناسب سور القرآن لأبي جعفر بن الزبير الثقفي، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، تحقيق الدكتور / سعيد الفلاح سنة ١٤٠٨ هـ.
- البرهان في علوم القرآن للزركشي، طبعة دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ.
- بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الثالثه سنة ١٤١٦هـ تحقيق الأستاذ / محمد علي النجار.
- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، مكتبة دار التراث للطباعة، الطبعة الأولى سنة ١٩٧٣ تحقيق: السيد أحمد صقر.
- التجرير والتنوير لابن عاشور، دار حنون للنشر والتوزيع، تونس سنة ١٩٩٧م.
- تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم طبعة محمد علي صبيح.
- تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.

- تفسير جزء (عم) للشيح محمد عبده، مطبعة مصر سنة ١٤١٣ هـ.
- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، طبعة دار الحديث القاهرة سنة ١٤٢٤هـ.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير، طبعة دار الفكر العربي.
- تفسير القرآن وإعرابه للشيخ محمد علي طه، طبعة دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٣٠هـ.
- التفسير القيم لابن القيم، طبعة دار البيان الحديثة، الأولى ١٤٢٩هـ.
- التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للفخر الرازي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢١ هـ.
- تفسير الماوردي المسمى النكت والعيون، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢ هـ، مراجعة السيد بن عبد المقصود.
- تفسير المعوذتين لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة دار طيبة، الرياض الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧هـ
- التفسير المنير للدكتور وهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر المعاصر / بيروت.
- تفسير المراغي للأستاذ أحمد مصطفي المراغي، طبعة الحلبي.
- تفسير النسفي لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، طبعة الحلبي.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم لمجمع البحوث الإسلامية، طبعة

الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الأولى سنة ١٣٩٦ هـ.

- التفسير الوسيط للدكتور محمد سيد طنطاوي، مطبعة السعادة، الطبعة الثالثة سنة ١٤١٠هـ.

- تلبيس إبليس لابن الجوزي، نشر مكتبة الرحاب بالقاهرة، تحقيق محمد خليل الطوخي ط ١ سنة ١٤٢٨هـ.

- تهذيب إحياء علوم الدين للأستاذ عبد السلام هارون، طبعة دار التوزيع والنشر الإسلامية.

- جامع البيان في تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري، طبعة دار الحديث القاهرة سنة ١٤٠٧، طبعة دار المعارف بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر.

- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، طبعة الشعب.

- حاشية الجمل على الجلالين، تفسير جزء (عم) طبعة مكتبة الإيمان.

- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي علي البيضاوي طبعة دار صادر، بيروت.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، طبعة دار المعرفة، بيروت.

- درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهة للخطيب الإسكافي، طبعة دار الكتب العلمية / بيروت، الطبعة الثانية سنة ١٤٣٣ هـ.

- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي، المكتبة

التجارية، القاهرة.
- زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي، المكتب الإسلامي بيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٤ هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم، طبعة دار الريان.
- سنن أبي داود لأبي داود السجستاني، طبعة الحلبي، الطبعة الثانيه سنة ١٩٨٣ م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ الألباني، مكتبة المعارف للنشر بالرياض سنة ١٤١٥ هـ
- سنن الترمذي لابي عيسى الترمذي، طبعة الحلبي، تحقيق الأستاذ أحمد محمد شاكر.
- سنن النسائي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
- شعب الإيمان للبيهقي طبعة دار الكتب العلمية بيروت- الطبعة الاولى سنة ١٤٢١هـ.
- صحيح البخاري، طبعة دار ابن كثير، اليمامة / بيروت، تحقيق الدكتور مصطفي البغا، الثالثة ١٤٠٧ هـ.
- صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة المطبعة المصرية.
- صفوة التفاسير للشيخ محمد على الصابوني طبعة دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولي سنة ١٤٠١هـ.
- عالم الجن والشياطين للدكتور عمر سليمان الأشقر، نشر دار الكتب السلفية، القاهرة.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر، طبعة الريان

بتحقيق الأستاذ / محمد فؤاد عبد الباقي.

- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري طبعة مكتبة الإيمان، تحقيق بهاء الدين عبد الموجود.

- فتح المنعم شرح صحيح مسلم للدكتور موسي شاهين لاشين، طبعة دار الشروق، الأولي سنة ١٤٢٣هـ.

- فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن لابن الجوزي، نشر مكتبة ابن سينا، تحقيق محمد إبراهيم سليم.

- القاموس القويم للقرآن الكريم للأستاذ إبراهيم أحمد عبد الفتاح طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٤٠٤هـ.

- الكامل في ضعفاء الرجال للجرجاني، طبعة دار الفكر، بيروت، تحقيق يحيي غزاوي، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٩هـ.

- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل للزمخشري طبعة دار الحديث، القاهرة.

- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلوني، نشر مكتبة دارة التراث بالقاهرة.

- كشف المعاني في متشابه المثاني لبدر الدين بن جماعة، طبعة دار المنار، تحقيق الدكتور محمد محمد داود.

- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل الدمشقي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت

- لسان العرب لابن منظور، طبعة دار صادر، لبنان.

- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي، طبعة دار الريان للتراث،

دار الكتاب العربي، بيروت سنة ١٤٠٧ هـ.
- محاضرات في تفسير القرآن الكريم للدكتور عبد الغني عوض الراجحي وآخرين، مكتبة أولاد عثمان ١٤٠٣هـ
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسي، طبعة دار الفكر، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٨ هـ.
- مختار الصحاح للرازي طبعة الحلبي.
- المستدرك علي الصحيحين للحاكم النيسابوري، طبعة دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٤١١ هـ، تحقيق: مصطفي عبد القادر عطا.
- مسند أبي يعلى الموصلي، دار المأمون للتراث، دمشق، تحقيق، حسين أسد سنة ١٤٠٤هـ.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة دار الكتب العلميه- بيروت- الطبعة الاولي سنة ١٤١٣ هـ .
- المصباح المنير للفيومي، طبعة المطبعة الأميرية، السادسة ١٩٢٥م.
- معالم سور القرآن واتحافات درره للدكتور جمعه علي عبد القادر، الطبعة الأولي سنة ٢٠٠٤م.
- معاني القرآن للأخفش.
- معاني القرآن للفراء، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٠م تحقيق محمد علي النجار، أحمد يوسف نجاتي.
- المعجم الأوسط للطبراني، دار الحرمين، القاهرة، تحقيق طارق بن عوض الله سنة ١٤١٥هـ.

- المعجم الكبير للطبراني، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، تحقيق حمدي السلفي ١٤٠٤ هـ.
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس طبعة دار الفكر.
- المفردات في غريب القرآن للرغب الأصفهاني، طبعة الحلبي، تحقيق محمد سيد كيلاني.
- مكائد الشيطان لابن أبي الدنيا، ضمن رسائل ابن أبي الدنيا في الزهد والرقائق، طبعة المنتدى الإسلامي، الشارقة، المركز العربي للكتاب سنة ١٤٢١هـ.
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه لأبي جعفر بن الزبير الغرناطي، طبعة دار الكتب العلمية سنة ١٤٢٧هـ.
- مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، طبعة الحلبي، الطبعة الثالثة.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور لبرهان الدين البقاعي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.
نفائس البيان شرح الفرائد الحسان في عد آي القرآن للشيخ عبد الفتاح القاضـــي، طبعة الحلبي.

فهرس الموضوعات

مقدمة ١٩
تمهيد ٢١
المطلب الأول : أسماء السورتين ٢١
المطلب الثاني : فضلهمـا ٢٣
المطلب الثالث : زمن نزولهما ٢٤

المطلب الرابع : عدد آياتهما ٢٥
المطلب الخامس : قرآنيتهما ٢٦
المطلب السادس : مناسبتهما لما قبلهما ٢٩
المطلب السابع : أهم مقاصد السورتين إجمالاً ٣١
المبحث الأول : تفسير سورة (الفلق) ٣٢
أولاً : معاني المفردات ٣٢
ثانياً : التفسير والبيان ٣٥
الإستعاذة من شر الخلق عموماً ٣٨
الإستعاذه من شر الليل وما فيه ٤٠
الإستعاذه من شر السحر ٤٣
حديث سحر النبي – صلى الله عليه وسلم ٤٥
موقف العلماء من هذا الحديث ٤٦
الرد على المنكرين لسحر النبي – صلى الله عليه وسلم ٤٧
الاستعاذة من شر الحسد ٥٠
ثالثاً: فقه السورة أو الآيات وما يستفاد منها ٥٣
المبحث الثاني : تفسير سورة (الناس) ٥٦
أولاً : معاني المفردات ٥٦
ثالثا : التفسير والبيان ٥٨
الاستعاذة من شر الشيطان ووسوسته ٦١
محل الوسوسة وحقيقتها ٦٣
تحقيق معني الوسوسة ٦٥
شياطين الإنس والجن ٦٧
ثالثاً: فقه السورة أو الآيات وما يستفاد منها ٦٩
الخاتمـــة ٧٣
فهرس المراجــع ٧٦
فهرس الموضوعات ٨٣

***